



السحر المعقود ومسح الأثر: دراسة أكاديمية
في الظاهرة وآثارها وسبل الوقاية والعلاج

تأليف: جمال عمر الحاج إدريس

Dr. Gamal E. O. Elhag-Idris

Knotted Magic and Tracing the Imprint:
An Academic Study on the Phenomenon, Its Impacts,
and Approaches to Prevention and Healing
By: Gamal E. O. Elhag-Idris



السحر المعقود ومسح الأثر: دراسة أكاديمية في الظاهرة وآثارها وسبل الوقاية والعلاج

تأليف: جمال عمر الحاج إدريس

Knotted Magic and Tracing the Imprint: An Academic Study on the Phenomenon, Its Impacts, and Approaches to Prevention and Healing

By: Gamal E. O. Elhag-Idris

تنويه من المؤلف

حقوق النشر والتأليف محفوظة © للناشر والمؤلف: جمال الدين عمر الحاج إدريس

2025 سبتمبر: تاريخ النشر، كندا الطبعة الأولى

eBook ISBN 978-1-997705-15-4

لا يجوز طبع، تصوير، ترجمة، أو إعادة نشر أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو وسيلة كانت، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي، التسجيل، أو أي نظام لتخزين واسترجاع المعلومات، دون الحصول على

إذن خطي مسبق من المؤلف

ملاحظة: هذا الكتاب هو النسخة العربية

Author's Note

Copyright © by the publisher & author: Gamal Eldin Omer Elhag Idris

Publication Date: September 2025, 1st Edition

Canada eBook ISBN 978-1-997705-15-4

No part of this book may be printed, photographed, translated, or reproduced in any form or by any means, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without prior written permission from the author

Note: This book is the Arabic version

الإهداء

إلى كل من يسعى لبناء مجتمع واعٍ ومحصن من الخرافة،
إلى القلوب التي تؤمن بأن النور يغلب الظلام،
وإلى العقول التي تجعل من العلم والإيمان سبيلًا للحياة الكريمة.

جمال عمر الحاج إدريس

الهدف

يهدف هذا الكتاب إلى تقديم دراسة علمية-أكاديمية شاملة ومعقدة لظاهرة السحر المعقود ومسح الأثر، باعتبارها واحدة من أكثر صور الشعوذة خطورة وتأثيراً في السودان، إريتريا، والمجتمعات العربية والإفريقية. ويأتي هذا تناول من منطلق أن الظاهرة لم تعد مجرد ممارسة تقليدية هامشية ترتبط بالجهل أو الأمية، بل غدت مكوناً متجذراً في البنية الاجتماعية والثقافية والدينية، حتى بين أوساط المتعلمين والمتدينين.

تتمثل الأهداف الرئيسية لهذا العمل في ما يلي:

1. التشخيص والتحليل العلمي:
استعراض الجذور التاريخية والفكرية للسحر المعقود ومسح الأثر، وكيفية حضوره في الموروث الشعبي، مع تحليل الأسباب التي دفعت لانتشاره عبر العصور، من الحسد والغيرة والصراعات الأسرية، إلى الفقر والحرمان والعجز عن مواجهة ضغوط الحياة.
2. إبراز الانعكاسات المتعددة الأبعاد:
تسليط الضوء على التأثيرات السلبية لهذه الممارسات في المجالات النفسية (الخوف، القلق، الوسواس)، والاجتماعية (تفكك الأسرة، انعدام الثقة)، والاقتصادية (استنزاف الموارد عبر تجارة الأوهام)، إضافة إلى آثارها الدينية التي تقوض العقيدة الصحيحة، وتجعل الإنسان رهينة للخرافة والدجل بدلاً من الإيمان والعمل.
3. المقاربة الأكاديمية المتعددة الاختصاصات:
دمج الرؤية الدينية المستمدة من القرآن والسنة، مع التحليل الاجتماعي-الثقافي الذي يدرس دور العادات والتقاليد، إضافة إلى المنظور النفسي والطبي الذي يفسر الأعراض المرافقة للسحر والشعوذة، فضلاً عن الإطار القانوني والتشريعي الذي يبين قصور القوانين في مواجهة الظاهرة. كما يستفيد الكتاب من الدراسات الأنثروبولوجية التي رصدت هذه الممارسات في بيئات مختلفة لتقديم قراءة مقارنة ومعقدة.
4. التوعية والوقاية:
طرح استراتيجيات وقائية عملية على المستويين الفردي والجماعي، تشمل التحصين الديني عبر الإيمان والأذكار، والتوعية الاجتماعية عبر الإعلام والمدارس والجامعات، وتعزيز التفكير النقدي والثقافة العلمية، فضلاً عن بناء بدائل علاجية نفسية وروحية توضع حدًا للجوء إلى الدجالين والمشعوذين.
5. المساهمة في بناء خطاب معرفي جديد:
السعي لتفكيك الصورة النمطية التي تجعل من الشعوذة أمراً مسلماً به، وبناء خطاب أكاديمي يُعيد صياغة النقاش حول السحر والشعوذة كقضية ترتبط بالتنمية، التماسك الاجتماعي، وصحة الإنسان النفسية والروحية.

إن الغاية النهائية من هذا الكتاب ليست مجرد التوثيق أو السرد، بل بناء وعي جماعي راسخ يدرك أن السحر المعفود ومسح الأثر ليسا سوى مظاهر استغلال وخرافة، وأن التصدي لهما يتطلب جهداً متكاملًا يجمع بين العقيدة الراسخة، العلم الرصين، والثقافة النقدية، لصناعة مجتمع أكثر وعياً ومناعة وقدرة على مواجهة التحديات.

التمهيد

يأتي هذا الكتاب ليسلط الضوء على واحدة من أكثر الظواهر الاجتماعية-الثقافية تعقيداً وإثارة للجدل، وهي السحر المعقود ومسح الأثر، باعتبارها ممارسة متجذرة في الذاكرة الشعبية وراسخة في الموروث الجمعي لكثير من المجتمعات في السودان، إريتريا، والبيئة العربية والإفريقية على السواء. فهذه الظاهرة لم تبقى في حدود المعتقدات الشعبية البسيطة، بل تطورت مع الزمن لتغدو أداة فاعلة في إدارة الخصومات الفردية والجماعية، وسلاحاً خفياً يُستخدم في قضايا الزواج والطلاق، الرزق والعمل، وحتى في الصراعات العائلية والمجتمعية.

ينطلق الكتاب من توصيف دقيق لممارسات "مسح الأثر"، التي تعتمد على جمع آثار الإنسان – سواء كانت آثار الأقدام في التراب، أو بقايا العرق على الفراش، أو أشياء شخصية مثل الملابس والشعر – ثم إدخالها في طلاس وعقد يتوهم من ممارستها أن لها قوة غيبية تُلحق الأذى بالصحية. ومن خلال هذا المسار، تتحول الشعوذة إلى وسيلة تفكيك للروابط الأسرية، ونشر مشاعر الخوف والقلق، وإضعاف النسيج الاجتماعي الذي يفترض فيه التضامن والتماسك.

لا يقتصر التمهيد على الجانب الوصفي للظاهرة، بل يضعها في سياق نقدي أوسع يربطها بجملة من العوامل البنيوية، مثل الجهل وضعف التعليم الذي يترك الفرد عرضة لتصديق الخرافة، والفقر والحرمان اللذين يدفعان الناس إلى البحث عن حلول سهلة وسريعة لمشكلاتهم، والفراغ الديني والروحي الذي يفتح الباب أمام الانجراف وراء الدجالين، فضلاً عن العوامل النفسية والاجتماعية التي تجعل من الإنسان كائنًا هشاً أمام الضغوط اليومية، فيُصبح أكثر قابلية لتفسير إخفاقاته من خلال السحر بدلاً من مواجهتها بالوعي والعمل.

كما يُبرز التمهيد أن الشعوذة ليست مجرد ممارسات بدائية، بل هي اقتصاد أسود منظم يستغل حاجات الناس ويحوّل الأوهام إلى تجارة مربحة، ما يجعل مواجهتها مسؤولية جماعية تتطلب مشاركة المؤسسات الدينية والتربوية والقانونية، جنباً إلى جنب مع الجهود النفسية والطبية.

ومن هنا، لا يكفي الكتاب بالتشخيص والتفسير، بل يتجه نحو طرح رؤية عملية وحلول متكاملة تشمل:

- تعزيز الوقاية الدينية عبر ترسيخ العقيدة الصحيحة والتحصين بالقرآن والسنة.
- التوعية المجتمعية والإعلامية لفصح أساليب المشعوذين وكشف زيفهم.
- إدماج العلاج النفسي والطبي كجزء لا يتجزأ من مواجهة الآثار النفسية المترتبة على السحر والشعوذة.
- سنّ تشريعات قانونية واضحة تجرم هذه الممارسات وتردع المتورطين فيها.

إن هذا الكتاب، في مجمله، دعوة إلى إعادة قراءة ظاهرة السحر المعقود ومسح الأثر بعين علمية-نقدية، تتجاوز حدود التفسير الغيبي إلى تفكيك العوامل الاجتماعية والثقافية التي تغذيها، والعمل على بناء مجتمع محصّن بالعلم والإيمان، قادر على مواجهة الخرافة، وتحصين أفراد من الاستغلال والجهل، وتوفير بدائل واقعية تعزز الثقة بالنفس وتُعيد الاعتبار لقيمة العقل والتربية والوعي الجمعي.

محتويات الكتاب

- الإهداء
- الهدف
- التمهيد

1. الفصل الأول: المقدمة: تعريف الظاهرة والسياق الاجتماعي
 2. الفصل الثاني: الجذور التاريخية للشعوذة في المجتمعات السودانية والاثيوبية والأفريقية والعربية
 3. الفصل الثالث: مفهوم “الأثر” في المعتقدات الشعبية: القدم واليد والعرق
 4. الفصل الرابع: الطلاسـم والعقد: أدوات السحرة في السيطرة
 5. الفصل الخامس: مسح الأثر في الموروث السوداني والإرتري والاثيوبي: روايات وشهادات
 6. الفصل السادس: السحر والمرأة: بين الضحية والممارسة
 7. الفصل السابع: السحر في أوساط المتعلمين: خرافة في ثوب جديد
 8. الفصل الثامن: الدين والشعوذة: تناقض أم تداخل؟
 9. الفصل التاسع: الطرق الصوفية وأنصار السنة: بين المقاومة والانخراط في الظاهرة
 10. الفصل العاشر: السحر في الفقه الإسلامي: النصوص الشرعية وأحكام العلماء
 11. الفصل الحادي عشر: البعد النفسي: لماذا يصدق الناس الشعوذة؟
 12. الفصل الثاني عشر: البعد الاجتماعي: الحسد، الغيرة، والصراعات الأسرية
 13. الفصل الثالث عشر: الإعلام والدجل: من قنوات “جلب الحبيب” إلى الشعوذة الإلكترونية
 14. الفصل الرابع عشر: الاقتصاد الأسود للشعوذة: تجارة الأوهام
 15. الفصل الخامس عشر: القانون والتشريع: بين التجريم والقصور
 16. الفصل السادس عشر: التجارب العالمية: كيف واجهت دول أخرى الشعوذة؟
 17. الفصل السابع عشر: الوقاية الدينية: الإيمان كحصن ضد السحر
 18. الفصل الثامن عشر: الوقاية الاجتماعية والثقافية: الوعي النقدي والتحصين المجتمعي
 19. الفصل التاسع عشر: العلاج وفك الطلاسـم: الرقية الشرعية والطب النفسي
 20. الفصل العشرون: الخاتمة: نحو استراتيجية شاملة لمواجهة الشعوذة
- المصطلحات والمعاني

الفصل الأول: المقدمة – تعريف الظاهرة والسياق الاجتماعي

تُعد ظاهرة السحر المعقود أو ما يُعرف شعبياً بـ "مسح الأثر" من أبرز صور الشعوذة التي انتشرت في المجتمعات السودانية والعربية والإريتريّة. وهي ليست مجرد ممارسة شعبية مرتبطة بالجهل أو الأمية كما يُتصور عادةً، بل ظاهرة اجتماعية مركبة تتداخل فيها عوامل الدين، الثقافة، الاقتصاد، والسياسة، حتى غدت جزءاً من البنية الذهنية والسلوكية لبعض الشرائح الاجتماعية.

أولاً: تعريف الظاهرة

السحر المعقود هو نوع من أنواع السحر يعتمد على استخدام "الأثر" الذي يتركه الإنسان، سواء كان هذا الأثر مادياً كالعرق أو الشعر أو الأظافر، أو معنوياً مثل بصمة الأقدام أو آثار الأيدي على الفراش والوسادة. يقوم المشعوذ بجمع هذه الآثار وتوظيفها في طلاسّم وعُقَد ورموز يُعتقد أنها تؤثر مباشرة على الشخص المستهدف، فتُسبب له المرض، أو تعطل عمله ورزقه، أو تُفسد علاقاته الأسرية والاجتماعية [1].

تتبع خطورة هذا النوع من السحر من سهولة ممارسته؛ إذ يمكن الحصول على الأثر دون علم صاحبه، ما يجعله عرضة للاستهداف في أي وقت، خاصة في البيئات الريفية أو الشعبية حيث يسهل جمع تراب الأقدام أو متعلقات الشخص.

ثانياً: الجذور التاريخية للظاهرة

يرجع استخدام الأثر في السحر إلى موروّثات قديمة تعود إلى العصور الفرعونية والبابليّة، حيث كان الاعتقاد قائماً على أن أثر الإنسان جزء من روحه، وبإمكان الساحر التحكم في صاحبه من خلاله. ومع دخول الإسلام وانتشاره في السودان والقرن الأفريقي، واجهت هذه الممارسات رفضاً شرعياً صريحاً، لكن ذلك لم يمنع استمرارها في الخفاء، بل إنها اختلطت أحياناً بالممارسات الدينية الشعبية، خصوصاً في الطرق الصوفية أو المجتمعات ذات الطابع التقليدي [2].

ثالثاً: السياق الاجتماعي المعاصر

في المجتمع السوداني والإرتري المعاصر، يظهر السحر المعقود كوسيلة للتعامل مع مشكلات الحياة اليومية، سواء في العمل أو الزواج أو الصراعات العائلية. فعندما يعجز الفرد عن إيجاد حل عملي لمشكلته، أو يفشل في منافسة غيره، يلجأ إلى الشعوذة بوصفها "طريقاً مختصراً" لتحقيق ما يريد.

1. في الأوساط المتديّنة

المفارقة أن هذه الظاهرة لا تقتصر على غير المتدينين أو الجهلة، بل نجدها أيضاً في صفوف بعض المتدينين، بما في ذلك أتباع جماعات كـ أنصار السنة المحمدية أو الطرق الصوفية، حيث تتسلل بعض الممارسات إلى حياتهم اليومية تحت غطاء "الرقية" أو "العلاج الروحاني". وهنا يختلط الحق بالباطل، فيختلط القرآن بالطلاسم، والدعاء بالتعوّذة.

2. في الأوساط المتعلمة

حتى بين خريجي الجامعات والمثقفين، تنتشر هذه الممارسات بسبب ضعف التفكير النقدي، حيث يُعجزهم الواقع الاجتماعي والاقتصادي، فيجدون في الشعوذة تبريرًا لفشلهم أو وسيلة لمواجهة منافسيهم. كثير منهم يؤمن أن فشل مشروع أو تأخر زواج سببه "سحر معقود" وضعه أحد الحاسدين.

3. في حياة النساء

تلعب النساء دورًا مركزيًا في هذه الظاهرة، سواء كضحايا أو كفاعلات. في حالات عديدة، تلجأ النساء إلى السحر المعقود لحل مشكلات أسرية أو عاطفية، خاصة في المجتمعات التي تُقيد خياراتهن الاجتماعية. في المقابل، يُصبح هدفًا متكررًا للشعوذة بدعوى الحسد أو الغيرة.

رابعًا: العوامل المغذية للظاهرة

الجهل والفقر: ضعف التعليم وغياب الوعي يجعل الناس أكثر قابلية لتصديق الشعوذة.

الأزمات الاقتصادية: في ظل البطالة والفقر، يصبح المشعوذ "ملجأً أخيرًا" لمن فقد الأمل.

البيئة الدينية الشعبية: المزج بين التصوف والمعتقدات الشعبية خلق بيئة خصبة لتبرير هذه الممارسات.

الإعلام غير المسؤول: بعض القنوات الفضائية لا تزال تروج لخدمات "جلب الحبيب" و"فك المربوط"، ما يعزز بقاء هذه الظاهرة [3].

خامسًا: خطورة الظاهرة

لا تقتصر خطورة السحر المعقود على الأذى الفردي، بل تتعداه إلى المجتمع:

نفسية: إذ تزرع الخوف والقلق المستمر لدى الضحية.

اجتماعية: تُثير النزاعات العائلية والقبلية، وتؤدي إلى تفكك الروابط الأسرية.

اقتصادية: تُحوّل الشعوذة إلى تجارة رابحة تستنزف أموال البسطاء وتُغذي اقتصادًا أسود غير قانوني.

سادسًا: الحاجة إلى الدراسة والبحث

رغم انتشار الظاهرة، إلا أن الدراسات الأكاديمية الجادة حولها في السودان وإريتريا قليلة، وغالبًا ما تُعالج في إطار ديني وعطي أو صحفي سطحي. لذلك يأتي هذا الكتاب ليسد فراغًا معرفيًا من خلال تحليل الظاهرة بمداخل متعددة: دينية، نفسية، اجتماعية، وقانونية، لطرح حلول واقعية تحد من انتشارها.

الخاتمة التمهيدية

السحر المعقود ومسح الأثر ليسا مجرد بقايا من الماضي، بل هما انعكاس لأزمة اجتماعية وثقافية عميقة. ومن خلال هذا الكتاب، سيتم تناول الظاهرة من مختلف الزوايا لفهمها بعمق، وتقديم إستراتيجيات لمكافحتها، بما يحمي الأفراد والمجتمع من آثارها المدمرة.

المراجع

[1] القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964.

[2] ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. الرياض: مكتبة المعارف، 1995.

[3] الجزيرة نت. "كيف أصبح السحر تجارة رائجة؟". 2 يوليو 2019. <https://www.aljazeera.net>.

الفصل الثاني: الجذور التاريخية للشعوذة في المجتمعات السودانية والعربية

تمهيد

إن الشعوذة والسحر ليستا وليدتي اليوم، بل هما ظاهرتان ضاربتان في عمق التاريخ البشري. فقد ارتبط السحر في الوجدان الإنساني منذ أقدم العصور بمحاولة الإنسان السيطرة على الطبيعة، ودرء المخاطر، وفهم الغيب المجهول. وفي السياقين السوداني والعربي، لعبت الشعوذة دورًا بارزًا في الحياة اليومية، الدينية، والاجتماعية، متأثرة بالبيئة الثقافية المتنوعة، من الحضارات النيلية القديمة، إلى العرب قبل الإسلام، ثم تداخلها مع التصوف الإسلامي لاحقًا.

أولاً: السحر والشعوذة في الحضارات القديمة

1. الحضارة النوبية والفرعونية

في وادي النيل، حيث تعاقبت حضارات كوش ومروي، ارتبط السحر بالكهنة والمعابد. كان الكهنة يستخدمون الطلاسم والنقوش والرموز المنحوتة على الأحجار أو الرقوق لطلب الحماية من الأرواح الشريرة أو لجلب النصر في الحروب.

- في الحضارة الفرعونية، تذكر النصوص أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن "الاسم" و"الأثر" يحملان قوة الشخص، ومن خلالهما يمكن التأثير عليه [1].
- وقد انتقلت هذه المعتقدات إلى النوبة والسودان عبر التبادل الحضاري الطويل، حيث لعب الكهنة دورًا مزدوجًا: دينيًا وروحانيًا.

2. الحضارات السامية والرافدية

في بلاد الرافدين، وُجدت ألواح طينية مكتوبة بالخط المسماري تصف طقوسًا سحرية مرتبطة بالأثر (الشعر، الأظافر، أثار الأقدام). وقد انتقلت بعض هذه الأفكار إلى شبه الجزيرة العربية عبر القوافل التجارية.

ثانيًا: الشعوذة في الجزيرة العربية قبل الإسلام

كانت القبائل العربية تمارس السحر والشعوذة ضمن موروثاتها الدينية والقبلية. استخدم الكهان والعرافون الشعر، الأثر، والتمائم في محاولة السيطرة على الأرواح أو استشراف المستقبل.

- الكاهن: كان شخصية محورية يُرجع إليها في النزاعات أو الأمراض.
- العراف: يمارس قراءة الطالع عبر النجوم أو الأثر.
- وقد ذكر القرآن الكريم هذه الممارسات، وحرّمها تحريمًا قاطعًا: "وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر" (البقرة: 102) [2].

ثالثاً: دخول الإسلام وتغيّر الموقف من السحر

مع دخول الإسلام إلى شبه الجزيرة العربية ثم السودان والقرن الأفريقي، جاء موقف واضح وحاسم تجاه السحر والشعوذة. فقد صنف الفقهاء السحر من الكبائر المخرجة من الملة. إلا أن الممارسات السحرية لم تختفِ تماماً، بل استمرت متخفية في الأرياف وبين العوام، وأحياناً اختلطت بالتصوف الشعبي، حيث استُخدمت الأدعية والآيات القرآنية مع طلاس غامضة.

رابعاً: الشعوذة في السياق السوداني

1. الممارسات الشعبية

في السودان، ارتبطت الشعوذة بالموروث الإفريقي الغني بالطقوس الروحانية. ففي مناطق مثل جبال النوبة ودارفور، استُخدم السحر في الحماية من الأرواح الشريرة أو جلب الخصوبة. ومع اختلاط الثقافة الإفريقية بالإسلام، ظهر نوع من التداخل بين "الزار" كطقس إفريقي و"الحجاب" كرمز ديني شعبي.

2. التأثير الصوفي

مع انتشار الطرق الصوفية منذ القرن السادس عشر، تداخلت الممارسات الروحانية مع الشعوذة. بعض "الفقرا" استخدموا الحجب والطلاسم بحجة العلاج أو جلب الرزق. وأصبح السحر أحياناً وسيلة اجتماعية لحل النزاعات أو لتفسير الأمراض الغامضة.

خامساً: الشعوذة في السياق العربي الإسلامي

في العالم العربي الأوسع، ظل السحر جزءاً من الثقافة الشعبية، خاصة في المغرب العربي حيث ارتبط بما يسمى "السحر الأسود" أو "سحر المرابطين". في مصر والشام، انتشر "علم الحرف" و"الأوقاف" التي تجمع بين الأرقام والطلاسم.

● ابن خلدون في المقدمة وصف السحر كظاهرة اجتماعية تعكس حاجات الناس النفسية والاجتماعية

[3].

● ابن تيمية أكد أن السحر والشعوذة تجارة قائمة على الكذب واستغلال حاجة الناس [4].

سادساً: دور النساء في التاريخ الشعبي للشعوذة

عبر التاريخ، لعبت النساء دوراً محورياً في ممارسة أو نقل الشعوذة، إما كـ"عرافات" أو "معالجات شعبية". في المجتمعات السودانية والعربية، كانت المرأة غالباً مسؤولة عن الطقوس المنزلية مثل التمام وحرق البخور و"المحاية"، وهو ما جعلها محوراً في الممارسات المرتبطة بالسحر المعقود ومسح الأثر.

سابعاً: الدوافع الاجتماعية والسياسية

- السيطرة: استخدم السحر كأداة للسيطرة على الناس في فترات تاريخية، سواء من قبل الزعماء الدينيين أو السياسيين.
- التفسير: لجأ الناس إليه لتفسير الكوارث الطبيعية أو الأوبئة قبل ظهور العلوم الحديثة.
- الاقتصاد: تحولت الشعوذة إلى "مهنة" لكسب المال في الأسواق الشعبية، حيث كان المشعوذون يُعرفون بقدرتهم على "حل المشاكل المستعصية".

الخاتمة

الجزور التاريخية للشعوذة والسحر في السودان والعالم العربي تكشف عن ظاهرة معقدة ومتجذرة في البنية الثقافية والاجتماعية. فمن الكهنة في المعابد النوبية والفرعونية، إلى الكهان والعرافين في الجزيرة العربية، إلى الطرق الصوفية والممارسات الشعبية في السودان، ظلت الشعوذة حاضرة في أشكال متعددة. هذه الخلفية التاريخية تفسر استمرار الظاهرة حتى اليوم، وتوضح أنها ليست مجرد انحراف معاصر، بل امتداد لإرث طويل يحتاج إلى فهم عميق لمواجهته بوعي.

المراجع

[1] البغدادي، عبد الرحمن. السحر في الحضارة المصرية القديمة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

[2] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 102.

[3] ابن خلدون. المقدمة. بيروت: دار الفكر، 2004.

[4] ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. الرياض: مكتبة المعارف، 1995.

[5] محمد، أحمد إبراهيم. المعتقدات الشعبية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1987.

الفصل الثالث: مفهوم "الأثر" في المعتقدات الشعبية – القدم واليد والعرق

تمهيد

يُعتبر "الأثر" في المعتقدات الشعبية من أبرز الوسائط التي تُستخدم في الشعوذة والسحر، لا سيما في ما يُعرف بـ السحر المعقود أو "مسح الأثر". ويقصد به كل ما يتركه الجسد الإنساني من علامات أو بقايا مادية أو غير مادية، كالخطوات على التراب، آثار اليد على السرير، قطرات العرق، الشعر، أو الأظافر. ويقوم التصور الشعبي على أن هذه الآثار تحمل جزءاً من روح الإنسان وقوته، مما يجعلها مدخلاً للتأثير فيه والسيطرة عليه.

هذه المعتقدات لم تأت من فراغ، بل هي امتداد لرؤية بدائية للعالم، تقوم على فكرة أن الإنسان ليس كياناً مادياً فقط، بل يترك "بصمات خفية" يمكن لمن يمتلكها أن يتحكم فيه. وفي المجتمعات السودانية والعربية، تجذرت هذه الممارسات عبر الأجيال، وأصبحت مادة للشعوذة والدجل، حيث يُستغل الأثر لإحداث المرض، أو تعطيل الرزق، أو التفريق بين الأزواج، أو جلب المحبة القسرية.

أولاً: معنى "الأثر" في التصور الشعبي

الأثر يُنظر إليه باعتباره "امتداداً للإنسان"، أي أنه يحمل طاقته الشخصية وروحه. وبناءً على هذا الاعتقاد، يصبح الأثر وسيلة لربط الشخص أو التحكم فيه عن بُعد. ومن أبرز صور الأثر في الثقافة الشعبية:

1. أثر القدم: يُعد من أكثر الوسائل استخداماً، حيث يُعتقد أن التراب الذي وطأته قدما الشخص يحتوي على جزء من روحه. يقوم المشعوذ بجمع هذا التراب ثم يضعه في عقد من الخيوط أو يخلطه بمواد سحرية.
2. أثر اليد: يتمثل في بقايا العرق أو العلامات التي تتركها اليد على الوسادة أو السرير. يُستخدم هذا الأثر خصوصاً في سحر "الربط" أو في محاولات السيطرة على الضحية أثناء النوم.
3. العرق: يُعتبر مادة شخصية قوية في الاعتقاد الشعبي، إذ يُنظر إليه على أنه "إفراز مباشر للجسد"، ومن ثم فإن استخدامه في الطلاسم يُعد أكثر فاعلية لإحداث المرض أو الوهن الجسدي [1].

ثانياً: الجذور التاريخية لمفهوم الأثر

تعود فكرة الأثر إلى عصور قديمة جداً:

- المصريون القدماء: كانوا يعتقدون أن الأثر (كالخطوات أو الشعر) يمثل "جزءاً من الكيان الروحي"، وأنه يمكن استخدامه في طقوس السحر والحماية [2].
- العرب قبل الإسلام: اعتقدوا أن آثار الأقدام أو اليدين قد تحمل قوة الشخص، فكانوا يلجأون إلى "الكهان" لجمع هذه الآثار واستخدامها في طلاسم.
- الثقافة الإفريقية: في المجتمعات النيلية والإفريقية، ظل الأثر جزءاً من الطقوس السحرية التي تستعمل في "الزار" أو ممارسات الحماية ضد الأرواح الشريرة.

ثالثاً: الأثر في الحياة اليومية للمجتمع السوداني والإرتري

1. في الزواج والعلاقات العاطفية

كثيراً ما يُستخدم الأثر في ممارسات "الربط" بين الأزواج أو في ما يُسمى "جلب الحبيب". حيث يقوم المشعوذ بأخذ أثر من فراش الزوجين، أو من ثوب الزوج، ليستخدمه في طلاسّم تهدف إلى التحكم في العلاقة.

2. في العمل والرزق

يُعتقد أن أخذ أثر من مكان عمل الشخص – كرمل خطاه أو مقعده – يمكن أن يُستخدم لتعطيل رزقه أو منعه من التوفيق في تجارته. هذه الممارسات شائعة في الأحياء الشعبية حيث تكثر المنافسة والغيرة.

3. في الخصومات والحسد

في حالات العداوة، يُجمع أثر الضحية ليستخدم في طلاسّم تهدف إلى إلحاق الأذى النفسي والجسدي به، مثل الصداع المزمن أو الكسل المفاجئ أو العقم.

رابعاً: الأثر بين التصوف والشعوذة

رغم أن الإسلام يحرم هذه الممارسات بشكل صريح، إلا أن بعض الطرق الصوفية الشعبية استبقت الموروث القديم، حيث جرى دمج الأدعية القرآنية مع الطلاسّم. فكان يُكتب أثر الشخص على ورقة، وتُخلط عليها آيات من القرآن، لكن تُضاف إليها رموز غامضة وأشكال حسابية، وهو ما جعل الناس يخلطون بين العلاج بالقرآن وبين السحر الصريح.

خامساً: التأويل النفسي والاجتماعي لمفهوم الأثر

من منظور علم النفس الاجتماعي، يمكن تفسير اعتقاد الناس بقوة الأثر على أنه انعكاس لفقدان السيطرة أمام الأزمات. فعندما يفشل الفرد في مواجهة مشكلاته (كالفقر أو المرض أو العقم)، يبحث عن تفسير خارجي فيعتقد أن حياته "مرتبطة" أو "معقودة" بفعل الآخرين. هذه الرؤية تخلق شعوراً بالاطمئنان النسبي، لأنها تُفسر الفشل بأسباب غيبية بدلاً من الاعتراف بعجز الذات أو الظروف [3].

سادساً: الأثر والشعوذة الإلكترونية

في العصر الحديث، تطورت الظاهرة لتشمل ما يمكن وصفه بـ"الأثر الرقمي". حيث يعتقد البعض أن الصور الشخصية أو البيانات الإلكترونية يمكن استغلالها في السحر، خصوصاً مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي. ورغم أن هذه الممارسات جديدة، فإنها تقوم على نفس الفكرة القديمة: الأثر (سواء كان مادياً أو رقمياً) يمكن أن يصبح وسيلة للتأثير في الإنسان.

سابعًا: خطورة الاعتقاد بقوة الأثر

- فريديًا: يُضعف الإيمان بالله، ويجعل الضحية أسيرًا للخوف والقلق.
- اجتماعيًا: يخلق نزاعات واتهامات متبادلة داخل الأسرة والمجتمع.
- اقتصاديًا: يجعل الناس عرضة لابتزاز المشعوذين الذين يتاجرون بالوهم.

الخاتمة

إن مفهوم الأثر في المعتقدات الشعبية يعكس محاولة الإنسان التاريخية لفهم العلاقة بين الجسد والروح، والسيطرة على المجهول. لكنه في المجتمعات السودانية والعربية تحول إلى أداة للشعوذة والاستغلال. ورغم أن الأديان والعلوم الحديثة دحضت هذه المعتقدات، إلا أنها لا تزال تجد أرضية خصبة بسبب الجهل والفقر والفراغ الروحي. مواجهة هذه الظاهرة تبدأ بالوعي، وبالفصل الواضح بين الدين الصحيح والخرافة، مع تعزيز التفكير النقدي في المجتمع.

المراجع

[1] محمد، أحمد إبراهيم. المعتقدات الشعبية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1987.

[2] البغدادي، عبد الرحمن. السحر في الحضارة المصرية القديمة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

[3] ابن خلدون. المقدمة. بيروت: دار الفكر، 2004.

[4] القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964.

[5] الجزيرة نت. "كيف أصبح السحر تجارة رائجة؟". 2 يوليو 2019. <https://www.aljazeera.net>.

الفصل الرابع: الطلاسم والعُقد – أدوات السحرة في السيطرة

تمهيد

تُعتبر الطلاسم والعُقد من أكثر الوسائل استخدامًا في السحر والشعوذة، وهي تمثل جوهر الممارسة السحرية التي يسعى من خلالها الساحر إلى السيطرة على الضحية وإيهامه أو إخضاعه. فالطلاسم ليس مجرد رموز مبشرة على ورقة، بل هو بناء رمزي محمّل بمعانٍ باطنية يزعم الساحر أنها تستدعي قوى خفية، بينما العُقد تعبير عملي عن "الربط" والتحكم، سواء في الجسد أو النفس أو المصير. وفي المجتمعات السودانية والعربية والإيتيرية، شكّلت هذه الممارسات أحد أخطر أشكال الدجل، إذ ارتبطت بالحياة اليومية للناس في الزواج، الرزق، الصحة، وحتى العلاقات السياسية والاجتماعية.

أولاً: تعريف الطلاسم

الطلاسم في اللغة مأخوذ من "طلسموس" اليونانية وتعني "الختم" أو "السر المغلق". وفي الاستعمال الشعبي، يُقصد به الكتابة الغامضة التي لا تُفهم، وتُدمج غالبًا مع أسماء مجهولة أو حروف مقطعة أو أرقام متداخلة.

خصائص الطلاسم:

1. الغموض المتعمد: تُكتب بطريقة غير مفهومة لغیر الساحر، مما يمنحها سلطة نفسية على الضحية.
2. الرمزية: تعتمد على أشكال هندسية كالذوائر والمربعات (الأوفاق)، ويُعتقد أنها تربط بين عالم الإنسان والعالم الغيبية [1].
3. الخلط بين المقدس والمدنس: كثيرًا ما يكتب الساحر آيات قرآنية إلى جانب رموز سحرية، ليُوهم الضحية أنها من الدين.

ثانيًا: تعريف العُقد

العقد هي خيوط أو حبال يُربط فيها أثر الإنسان (شعر، أظافر، تراب أقدام)، ثم تُقرأ عليها تعاويذ. وهي تمثل فعلاً ماديًا للسيطرة: فعقد الخيط يُساوي عقد حياة الشخص المستهدف.

- في بعض الممارسات، تُدفن العقد في المقابر أو تُعلق على الأشجار.
- في حالات أخرى، تُلقى في مجاري المياه حتى "يجري السحر مع الجريان".

ثالثًا: الرمزية التاريخية للطلاسم والعقد

- في الحضارة المصرية القديمة: استخدم الكهنة النقوش والطلاسم لحماية المقابر الملكية. واعتُبرت العقود رمزًا لربط قوى الشر ومنعها من الدخول [2].

- في العرب قبل الإسلام: استُعملت التمايم والعقد للحماية من "العين"، وذكر في القرآن الكريم قوله تعالى: "ومن شر النفاثات في العقد" (الفلق: 4)، في إشارة مباشرة إلى السحرة الذين ينفثون في العقد لاستدعاء قوى الشياطين [3].
- في التصوف الشعبي: ظهر استخدام الطلاس في شكل "الأحجية"، حيث تُكتب آيات قرآنية على ورق ثم تُضاف إليها رموز غير مفهومة.

رابعاً: أنواع الطلاس المستخدمة في السودان والعالم العربي

1. طلسم الربط: لتعطيل الزواج أو منع الرجل من معايشرة زوجته.
2. طلسم المحبة: يُعرف شعبياً بـ "جلب الحبيب"، حيث يُكتب الطلسم ويُضاف إليه أثر من الشخص المستهدف.
3. طلسم الرزق: يُزعم أنه يجلب المال أو النجاح في التجارة.
4. طلسم التفريق: يُستخدم للتفريق بين الأزواج أو الشركاء في العمل.
5. طلسم المرض: يهدف لإحداث مرض مزمن يصعب تفسيره طبيًا.

خامساً: دور الطلاس والعقد في السيطرة الاجتماعية

1. السيطرة على الأفراد
يلجأ الساحر إلى الطلاس لإقناع الضحية بأن حياته "معقودة"، فيصبح الضحية مسلوب الإرادة، وتغلب عليه مشاعر العجز والقلق.
2. السيطرة على الجماعات
في بعض المجتمعات الريفية، يكتسب المشعوذ سلطة اجتماعية بفضل قدرته المزعومة على "حل وربط" مشاكل الناس، فيتحول إلى مرجع بديل عن الطبيب أو الإمام.
3. الاقتصاد الخفي
تحولت الطلاس والعقد إلى تجارة رائجة، حيث تُباع الأحجية والتمايم بأسعار باهظة، رغم أنها لا تكلف الساحر شيئاً سوى الورق والحبر.
- سادساً: البعد النفسي للطلاسم والعقد
علم النفس يفسر تأثير الطلاس والعقد من خلال ما يُسمى التأثير الإيحائي (suggestion effect). فالضحية يقتنع أن الطلسم قادر على تدميره، فيبدأ في استئثار أعراض مرضية حقيقية مثل الصداع، الأرق، الضعف الجسدي. أي أن الخوف هو الذي يولد المرض، وليس الطلسم بحد ذاته [4].

سابعًا: الطلاس والعقد في العصر الحديث

مع تطور وسائل الاتصال، لم تختفِ الطلاس، بل أخذت شكلًا جديدًا:

- الشعوذة الرقمية: حيث تُباع الطلاس عبر الإنترنت، ويُرسل المشعوذ صورًا أو رموزًا للضحية.
- الدمج مع العلاج الشعبي: بعض الرقاة يخلطون بين الرقية الشرعية والطلاسم، ما يصعب على الناس التمييز بين الصحيح والباطل.

ثامنًا: الموقف الشرعي

أجمع العلماء على تحريم الطلاس والعقد، لأنها نوع من الاستعانة بالشياطين، وخروج عن التوحيد. قال ابن تيمية: "الطلسمات والعقد شرك وكفر، ولو كان فيها شيء من القرآن فإن اختلاطه بالطلاسم يجعله منكراً" [5].

تاسعًا: خطورة الطلاس والعقد على المجتمع

1. تفكيك الأسرة: كثير من حالات الطلاق تُنسب إلى أعمال سحر التفريق.
2. انتشار الجهل: يُشجع الناس على اللجوء للمشعوذين بدل الأطباء أو العلماء.
3. الاستغلال الاقتصادي: استنزاف أموال الفقراء والمحتاجين.
4. زعزعة العقيدة: إضعاف التوحيد ونشر الخوف من البشر بدلاً من الخوف من الله.

الخاتمة

الطلاسم والعقد ليست مجرد رموز أو خيوط تُعقد، بل هي منظومة سيطرة كاملة تستغل جهل الناس وضعفهم. من خلال الغموض والرمزية والإيحاء النفسي، يتمكن المشعوذ من إخضاع ضحاياه واستنزافهم مادياً ومعنوياً. ومواجهتها لا تكون فقط بالتحذير الديني، بل أيضاً بالتوعية العلمية والاجتماعية، وبتشديد القوانين التي تجرم هذه الممارسات.

- [1] الفلقشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1913.
- [2] البغدادي، عبد الرحمن. السحر في الحضارة المصرية القديمة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
- [3] القرآن الكريم، سورة الفلق، الآية 4.
- [4] Freud, Sigmund. The Psychology of Suggestion. London: Hogarth Press [4]. 1921.
- [5] ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. الرياض: مكتبة المعارف، 1995.
- [6] محمد، أحمد إبراهيم. المعتقدات الشعبية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1987.

الفصل الخامس: مسح الأثر في الموروث السوداني والإرتري والإثيوبي – روايات وشهادات

تمهيد

يُعد مسح الأثر من أبرز صور السحر المعقود وأكثرها رسوخاً في المخيال الشعبي في وادي النيل والقرن الأفريقي. فهو ممارسة تتجاوز كونها مجرد طقس شعوزة بسيط، لتصبح انعكاساً لثقافة كاملة تؤمن بأن "الأثر" جزء من روح الإنسان، وأن من يملكه يستطيع التحكم في حياة صاحبه. في السودان وإريتريا وإثيوبيا، نجد أن هذه الظاهرة لم تُمارَس فقط على مستوى الأفراد، بل ارتبطت أيضاً بالمجتمع ككل، فتأثرت بها العلاقات الأسرية، والخصومات القبلية، وحتى الممارسات الدينية الشعبية. وقد حفظت الروايات الشفاهية، والأمثال الشعبية، وشهادات كبار السن تفاصيل دقيقة عن هذه الظاهرة، بما يجعلها مادة غنية للدراسة التاريخية والأنثروبولوجية.

أولاً: مسح الأثر في المجتمع السوداني

1. الممارسات اليومية

في الريف السوداني، كان يُنظر إلى الأثر باعتباره "بوابة" إلى الجسد. فإذا أراد شخص أن يؤدي آخر، كان يكفيه أن يأخذ تراب خطواته، أو قطعة قماش مُستخدمة في نومه، أو حتى غباراً من سريرته. يُسَلَّم هذا الأثر للمشعوذ، الذي يعقد به خيوطاً ويقرأ عليه تعاويذ، ثم يدفنه في المقابر أو يرميه في مجرى ماء جارٍ.

2. الروايات الشعبية

- في شمال السودان، تُروى حكايات عن نساء استُخدمن ضدن "مسح الأثر" لتعطيل زواجهن، حيث يُقال إنهن بقين سنوات دون خطّاب بسبب "عقدة مدفونة" في التراب.
- في دارفور وكردفان، هناك قصص عن تجار تعطلت تجارتهم فجأة بعد أن جمع منافسون تراب خطواتهم من السوق وسَلَمُوهُ إلى أحد السحرة.

3. الذاكرة الدينية

بعض المشايخ الشعبيين كانوا يجمعون بين الرقية الشرعية واستخدام الأثر، وهو ما زاد من انتشار الظاهرة، إذ أصبح الناس يرونها مقبولة تحت غطاء ديني، رغم مخالفتها للشريعة.

ثانياً: مسح الأثر في المجتمع الإرتري

1. السياق الاجتماعي

في المجتمع الإرتري المتأثر بالثقافتين السودانية والعربية، انتشرت هذه الممارسات خاصة في الأرياف، حيث يُعتقد أن أي أثر للإنسان يمكن استغلاله. النساء بالذات كنَّ أكثر عرضة لهذه الممارسات، خصوصاً في مسائل الزواج والحسد.

2. الروايات الشفاهية

- في إقليم بركة، تُحكى قصص عن شباب فشلوا في الزواج لأن أثر أقدامهم دُفن في طلاس سحرية.
- بعض الشهادات تذكر أن مشعوذين كانوا يطلبون من أهل الضحية قطعة من ثيابه الداخلية، أو آثار يديه على الفراش، ثم يستخدمونها في أعمال "ربط" تمنعه من الزواج أو الإنجاب.

3. الموروث الشعبي

الأغاني الشعبية أحياناً كانت تُشير إلى هذه الظاهرة، إذ نجد في بعض الأشعار الريفية الإريتيرية عبارات عن "الخطوة المربوطة" أو "القدم المعقودة"، كاستعارات للحسد والعجز.

ثالثاً: مسح الأثر في المجتمع الإثيوبي

1. تداخل الثقافات

في إثيوبيا، حيث تتداخل الموروثات المسيحية الأرثوذكسية مع التقاليد الإفريقية، كان مسح الأثر حاضراً أيضاً، لكنه ارتبط غالباً بالطقوس السحرية التي تُمارَس في الغابات أو بالقرب من الكنائس القديمة.

2. الشهادات التاريخية

- في منطقة تيغراي، كان يُعتقد أن "الكاهن الشعبي" يستطيع جمع أثر الإنسان من عتبة بيته، ليُحدث له مرضاً أو عجزاً جسدياً.
- في أمهرا، ارتبطت هذه الممارسة بما يُعرف بـ "الديبلا" (وهي طلاس مكتوبة بلغات قديمة) التي تُستخدم لإيذاء الآخرين عبر الأثر.

3. السياق الديني

المفارقة أن بعض الكهنة الأرثوذكس كانوا يستعملون الأدعية المسيحية مع رموز غامضة، في ممارسة تشبه تماماً ما يقوم به المشعوذون في السودان وإريتريا.

رابعاً: الأبعاد النفسية والاجتماعية للروايات

الروايات والشهادات حول مسح الأثر تعكس خوفاً جماعياً من المجهول.

- نفسياً: الضحية يشعر بالعجز، إذ يعتقد أن حياته معقودة بخيط في مكان مجهول.
- اجتماعياً: الاتهامات المتبادلة بالجوء إلى مسح الأثر أدت إلى شقاق بين الأسر والقبائل.
- اقتصادياً: المشعوذون وجدوا في هذه الظاهرة مصدر رزق ثابت، حيث يطلبون المال مقابل "العقد" أو "الحل".

خامساً: شهادات معاصرة

- في مقابلات صحفية مع سكان من شرق السودان، ذكر بعضهم أن النساء لا يتركن ملابسهن في الغسيل العام خوفاً من أن تُستخدم آثار العرق فيها في أعمال السحر [1].
- في إريتريا، أوردت شهادات من اللاجئين أن بعض المعالجين الشعبيين في القرى لا يزالون يمارسون مسح الأثر حتى اليوم، رغم تحريم السلطات له رسمياً.
- في إثيوبيا، سجّلت دراسات أنثروبولوجية أن الاعتقاد في مسح الأثر يُعتبر من أسباب انتشار الخوف من "الجار الحاسد" أو "العدو الخفي" [2].

سادساً: استمرارية الظاهرة في العصر الحديث

رغم التطور العلمي وانتشار التعليم، لا يزال مسح الأثر حاضراً في الممارسات الشعبية. بل إنه تطور إلى ما يُشبه "الأثر الرقمي"، حيث يخشى البعض من استخدام صورهم أو أصواتهم على وسائل التواصل الاجتماعي لأغراض سحرية.

الخاتمة

يمثل مسح الأثر في الموروث السوداني والإريتري والإثيوبي تجسيداً لعمق الإيمان الشعبي بقوة "الأثر"، وارتباطه بالسحر المعتقد. وتكشف الروايات والشهادات عن استمرارية هذه الممارسة رغم الوعي الديني والعلمي. فهي ليست مجرد طقس شعوذة، بل منظومة اجتماعية واقتصادية ونفسية متشابكة، تُستخدم للسيطرة، الانتقام، أو حتى كوسيلة تفسير للفشل والمعاناة. إن فهم هذه الظاهرة في سياقها التاريخي والأنثروبولوجي هو الخطوة الأولى نحو تفكيكها والحد من أثرها في المجتمعات.

[1] محمد، أحمد إبراهيم. المعتقدات الشعبية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1987.

[2] Young, Allan. Magic and Cultural Belief in the Horn of Africa. London: Routledge, 2005.

[3] البغدادي، عبد الرحمن. السحر في الحضارة المصرية القديمة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

[4] الجزيرة نت. "كيف أصبح السحر تجارة رائجة؟". 2 يوليو 2019. <https://www.aljazeera.net>.

[5] Hassen, Mohammed. The Oromo and the Horn of Africa: A Historical-Anthropological Study. Addis Ababa: Addis Ababa University Press, 2010.

الفصل الثاني: الجذور التاريخية للشعوذة في المجتمعات السودانية والإثيوبية والأفريقية والعربية

تمهيد

تُعد الشعوذة والسحر من أقدم الممارسات الإنسانية التي حاول بها الإنسان تفسير الظواهر الغامضة التي عجز عن فهمها أو السيطرة عليها. وهي ليست مجرد ظاهرة عابرة، بل إرث ثقافي ممتد، ارتبط بالدين والاقتصاد والسياسة والعلاقات الاجتماعية عبر آلاف السنين. وقد تشكلت الجذور التاريخية للشعوذة في المجتمعات السودانية والإثيوبية والأفريقية والعربية من خلال تفاعل طويل بين الموروثات المحلية، والمعتقدات الدينية، والتأثيرات الحضارية القادمة من مصر القديمة، وبلاد الرافدين، والجزيرة العربية، والقرن الأفريقي.

أولاً: الشعوذة في الحضارات السودانية القديمة

1. ممالك كوش ومروي

في الممالك النوبية القديمة مثل كوش ومروي، لعب الكهنة دوراً بارزاً في الجمع بين الدين والسياسة والسحر. فقد اعتقد الناس أن الكاهن قادر على جلب المطر، أو إيقاف الفيضان، أو شفاء المرضى باستخدام الطلاس والتعاويذ. وتشير النقوش الأثرية في البجراوية إلى استخدام الرموز والكتابات الغامضة التي يُحتمل أنها كانت جزءاً من ممارسات سحرية مرتبطة بالآلهة المحلية [1].

2. المعتقدات الشعبية النيلية

ارتبطت الشعوذة أيضاً بالبيئة النيلية، حيث كان الناس يرون في النيل كائنات حياً يتطلب طقوساً لحمايته. وكان للسحر دور في تفسير كوارث الجفاف أو الفيضانات المدمرة، حيث يُعتقد أن الأرواح الشريرة أو "الجن" هي التي تتحكم في هذه الظواهر، وأن استرضاءها يحتاج إلى مشعوذ أو "فكي" قادر على مخاطبتها.

ثانياً: الشعوذة في إثيوبيا والقرن الأفريقي

1. الموروث القبلي

في المجتمعات الإثيوبية التقليدية، وخاصة بين الأورومو والأمهرا والتيجراي، ارتبط السحر بالطقوس الزراعية والحماية من الأرواح الشريرة. وكان الساحر أو "الديبلا" شخصية اجتماعية لها نفوذ، حيث يُعتقد أنه قادر على ربط الأعداء أو شفاء الأمراض المستعصية.

2. التداخل الديني

مع انتشار المسيحية الأرثوذكسية منذ القرن الرابع الميلادي، واجهت الكنيسة الإثيوبية الشعوذة باعتبارها هرطقة، لكنها لم تستطع القضاء عليها. بل استمرت بعض الطقوس السحرية متخفية تحت غطاء الأدعية والصلوات. ويذكر الرحالة الأوروبيون في القرون الوسطى أن الكهنة الأرثوذكس في إثيوبيا كانوا يستخدمون نصوصاً مقدسة ممزوجة بطلاس غامضة في محاولة لجلب الشفاء أو طرد الأرواح [2].

3. السياق الإرتري المتأثر

إريتريا بحكم موقعها الجغرافي كانت ملتقى بين الثقافتين العربية والأفريقية، فنجد أن مسح الأثر والطلاسم جزء من الموروث الشعبي، لكنه يتداخل مع الرقى الإسلامية من جهة، والطقوس المسيحية الشعبية من جهة أخرى.

ثالثاً: الشعوذة في أفريقيا جنوب الصحراء

1. المعتقدات الأفريقية التقليدية

في أفريقيا الوسطى والغربية، ارتبط السحر بعبادة الأرواح والأجداد. وكان يُعتقد أن كل إنسان محاط بقوى خفية يمكن التحكم فيها عبر القرابين والطلاسم. وقد ورثت هذه المجتمعات مفهوم "الأثر" حيث تُستخدم بقايا جسدية للشخص (شعر، أظافر، دم) للتحكم في مصيره.

2. الزار والممارسات الطقوسية

من أبرز الأمثلة التي انتقلت إلى السودان وإريتريا هي طقوس "الزار"، حيث تُمارَس الرقصات والأناشيد لاسترضاء الأرواح. ويُنظر إلى هذه الطقوس كوسيلة علاجية، لكنها في الأصل امتداد لممارسات شعوذة أفريقية قديمة [3].

رابعاً: الشعوذة في الجزيرة العربية قبل الإسلام

1. الكهانة والعرافة

في المجتمع العربي الجاهلي، كان الكاهن والعراف شخصيتين أساسيتين. فقد كان الناس يلجؤون إليهما لمعرفة الغيب أو لفك السحر أو لجلب الحظ. وكان العرافون يستخدمون طرقاً مثل قراءة الطالع عبر النجوم، أو استخدام الأثر في الطلاسم.

2. السحر في الثقافة الجاهلية

انتشرت التمايم والحجب التي تُعلّق على الأطفال أو البيوت لدرء العين والحسد. وقد أشار القرآن إلى هذه الممارسات وحرّمها تحريماً صريحاً: "ومن شر النفاثات في العقد" (الفلق: 4) [4].

خامساً: الشعوذة في العالم العربي الإسلامي بعد الإسلام

1. التحريم الشرعي

الإسلام جاء بموقف واضح ضد السحر، واعتبره من الكبائر المخرجة من الملة. لكن مع ذلك، لم تختفِ الظاهرة، بل استمرت متخفية في الريف وبين العوام.

2. الطلاس في التراث العربي

انتشر ما يُعرف بـ "علم الحرف" و"الأوافق"، حيث تُكتب المربعات المليئة بالأرقام والحروف بزعم أن لها تأثيراً روحانياً. وكان بعض "الفقهاء الشعبيين" يدمجون الآيات القرآنية مع هذه الطلاس، مما جعل الناس يخلطون بين الرقية الشرعية والسحر المحرم.

3. ابن خلدون والشعوذة

في المقدمة، تناول ابن خلدون الشعوذة باعتبارها انعكاساً لحاجة المجتمعات إلى تفسير المجهول، وأشار إلى أن السحر كان "علماً" يُدرّس في بعض الأمم القديمة، وأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنفس البشرية وخيالاتها [5].

سادساً: العوامل المشتركة بين هذه المجتمعات

- الخوف من المجهول: الشعوذة كانت وسيلة لطمأنة الناس أمام الأمراض والكوارث الطبيعية.
- الوظيفة الاجتماعية: الساحر كان يؤدي دور الوسيط بين المجتمع والقوى الغيبية.
- الاستغلال الاقتصادي: تحولت الشعوذة إلى تجارة، حيث كان المشعوذون يطلبون الأموال مقابل خدماتهم.
- الخلط الديني: إدماج النصوص المقدسة مع الطلاس أعطى الشرعية لهذه الممارسات.

الخاتمة

الجنود التاريخية للشعوذة في المجتمعات السودانية والإثيوبية والأفريقية والعربية تُظهر أنها ظاهرة عابرة للزمان والمكان، تعكس حاجة الإنسان القديمة لفهم المجهول والسيطرة على مصيره. من المعابد النوبية والكنائس الإثيوبية، إلى الأسواق الشعبية في الجزيرة العربية، ظلت الشعوذة قائمة بأشكال متعددة، متجددة بتغير العصور، لكنها ثابتة في جوهرها: استغلال الأثر والرمز والطقس للسيطرة على الإنسان. إن فهم هذه الجنود يساعدنا على إدراك عمق الظاهرة في حاضرنا، ويضعنا أمام مسؤولية توعية المجتمعات بمخاطرها على الدين والعقل والاقتصاد.

المراجع

[1] Trigger, Bruce. Nubia: Corridor to Africa. Princeton: Princeton University Press, 1976.

[2] Kaplan, Steven. The Beta Israel (Falasha) in Ethiopia: From Earliest Times to the Twentieth Century. New York: New York University Press, 1992.

[3] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.

[4] القرآن الكريم، سورة الفلق، الآية 4.

[5] ابن خلدون. المقدمة. بيروت: دار الفكر، 2004.

[6] ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. الرياض: مكتبة المعارف، 1995.

الفصل السادس: السحر والمرأة – بين الضحية والممارسة

تمهيد

منذ العصور القديمة ارتبطت صورة المرأة بالشعوذة والسحر ارتباطاً وثيقاً، سواء باعتبارها ضحية تُستهدف حياتها وصحتها وعلاقاتها، أو باعتبارها ممارسة للطقوس السحرية بشكل مباشر أو غير مباشر. ففي الثقافات الشعبية في السودان وإريتريا وإثيوبيا والعالم العربي، تحضر المرأة في قلب الظاهرة، ليس فقط بحكم وضعها الاجتماعي والهشاشة التي عانت منها عبر التاريخ، بل أيضاً لارتباطها بالبيت والأسرة والطقوس اليومية. وقد ترك هذا الارتباط آثاراً نفسية واجتماعية واقتصادية عميقة، ما جعل من المرأة حلقة مركزية في فهم السحر والشعوذة.

أولاً: المرأة كضحية للسحر

1. الاستهداف في قضايا الزواج والإنجاب

أكثر ما تتعرض له النساء من أنواع السحر هو ما يُعرف بـ"سحر الربط" أو "سحر تعطيل الزواج". في السودان وإريتريا، تنتشر روايات عن فتيات تأخر زواجهن بسبب طلسم مدفونة في التراب أو مسح للأثر من موضع نومهن. وفي حالات أخرى، تستهدف الزوجة بسحر "العقم"، حيث يُعتقد أن أثرها يُستخدم لربط رحمها ومنعها من الإنجاب [1].

2. الغيرة والحسد

المرأة كثيراً ما تكون هدفاً مباشراً للحسد من نساء أخريات، خاصة في المجتمعات التي تقوم على التنافس في الجمال أو الزواج أو المكانة الاجتماعية. هذا الحسد يتحول إلى طلب سحر من مشعوذ لتعطيل حياة الضحية أو إفساد زواجها.

3. الأثر النفسي

المرأة التي تُقنع نفسها بأنها مسحورة تعاني من أعراض نفسية حقيقية: القلق، الاكتئاب، الأرق، العزلة الاجتماعية. وفي بعض الحالات، تتحول حياتها إلى جحيم بسبب الشعور المستمر بأنها مراقبة أو "مرتبطة" بسحر معقود [2].

ثانياً: المرأة كممارسة للسحر

1. الدور الاجتماعي للنساء في الشعوذة

في كثير من القرى السودانية والإريترية والإثيوبية، نجد أن النساء كنّ يمارسن دور "الوسيط" بين المشعوذ والمجتمع. فهن اللواتي يجمعن الأثر، أو ينقلن الطلسم، أو يقمن بالطقوس داخل البيوت. وبعض النساء تحوّلن إلى "عرافات" أو "كجريات" يمارسن الشعوذة بأنفسهن، ويقدمن خدماتهن في الأسواق والأحياء الشعبية.

2. السحر كوسيلة قوة

بالنسبة لنساء مقهورات اجتماعيًا، أصبح السحر وسيلة بديلة للسلطة. ففي غياب التعليم أو النفوذ السياسي، لجأت بعض النساء إلى الشعوذة كأداة للتأثير في الآخرين أو للسيطرة على أزواجهن أو منافساتهن.

3. المرأة في الطقوس الأفريقية

في طقوس "الزار" المنتشرة في السودان والحبشة، تلعب النساء الدور الأكبر، سواء كمصاببات أو كقائدات للطقس. ويُعتقد أن المرأة أكثر عرضة لمس الجن والسحر، مما عزز صورتها كوسيط طبيعي بين العوالم الغيبية والواقعية [3].

ثالثًا: الصورة الدينية للمرأة والسحر

1. الموقف الشرعي

الإسلام حرم السحر تحريمًا قاطعًا، سواء كان ممارسًا من رجل أو امرأة. غير أن بعض التفسيرات الشعبية انحرفت لتربط بين المرأة والسحر أكثر من الرجل، ما جعلها عرضة للاتهام السريع.

2. الكنيسة الإثيوبية والموروث الشعبي

في التقاليد الأرثوذكسية الإثيوبية، اتُهمت النساء أيضًا بأنهن أدوات للشياطين، وهو إرث شبيه بما حدث في أوروبا خلال "محاكم التفتيش" ضد الساحرات في العصور الوسطى. هذه الصورة السلبية للمرأة ساهمت في ترسيخ الربط بينها وبين السحر.

رابعًا: المرأة والسحر في الروايات الشعبية

1. في السودان

تحفل الأمثال الشعبية بقصص عن نساء "ربطن" أزواجهن أو "أغلن" بيوت جاراتهن عن طريق السحر. ويُقال في المثل: "فلانة مربوطة".

2. في إريتريا

تتناول الروايات قصصًا عن نساء مسنات يعملن كـ "حكيمات" يجمعن الأثر ويصنعن الطلاس، وغالبًا ما يكنّ معروفات في القرى بقدراتهن المزعومة على "حل وربط" العلاقات.

3. في إثيوبيا

في مناطق التيغراي والأمهرا، يُذكر أن بعض النساء كنّ يستخدمن طلاس مكتوبة بلغات قديمة تُسمى "الديبلا"، وتُدفن في عتبات البيوت لتعطيل ساكنيها.

خامساً: البعد النفسي والاجتماعي لعلاقة المرأة بالسحر

1. البعد النفسي: المرأة أكثر عرضة للضغط النفسي والاجتماعي، ما يجعلها أكثر قابلية لتصديق أنها ضحية للسحر.
2. البعد الاجتماعي: في مجتمعات أبوية، يُستخدم اتهام المرأة بالسحر كأداة لإضعافها والسيطرة عليها.
3. البعد الاقتصادي: كثير من النساء دفعن حياتهن ثمناً لمواجهة الاتهامات أو للجوء إلى المشعوذين بحثاً عن حلول.

سادساً: شهادات تاريخية ومعاصرة

- ذكر المستشرق البريطاني "سبنسر ترمنغهام" في كتابه الإسلام في السودان أن النساء في الأسواق الشعبية كنَّ يقدمن خدمات الشعوذة بجانب بيع الأعشاب [4].
- دراسات أنثروبولوجية حديثة في إثيوبيا تشير إلى أن النساء يشكلن غالبية من يُعتقد أنهن مسحورات أو ملبوسات بالجن، ما يعكس التمييز الاجتماعي ضدهن [5].
- شهادات من شرق السودان وإريتريا تُظهر أن بعض العائلات كانت تمنع الفتيات من المشاركة في المناسبات خوفاً من أخذ أثرهن واستخدامه في السحر.

الخاتمة

المرأة في علاقتها بالسحر تقف بين طرفين متناقضين: فهي ضحية تعاني من الأذى النفسي والاجتماعي، وهي في الوقت ذاته ممارسة أو ناقلة للطقوس السحرية. هذه الازدواجية تجعل فهم الظاهرة أكثر تعقيداً، لأنها ليست مجرد مسألة غيبية، بل انعكاس لمكانة المرأة في المجتمع، وللتمييز الذي تعانيه، ولحاجتها أحياناً لوسائل بديلة لاكتساب القوة. إن معالجة هذه الظاهرة تستوجب إصلاحاً فكرياً ودينيّاً، وتعزيز الوعي الاجتماعي، وتقديم الدعم النفسي والاقتصادي للنساء، حتى لا يتحولن إلى أدوات في يد المشعوذين أو ضحايا لاتهامات لا تنتهي.

[1] محمد، أحمد إبراهيم. المعتقدات الشعبية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1987.

[2] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.

[3] Hassen, Mohammed. The Oromo and the Horn of Africa: A Historical-Anthropological Study. Addis Ababa: Addis Ababa University Press, 2010.

[4] Trimingham, Spencer. Islam in the Sudan. London: Oxford University Press, 1949.

[5] Kaplan, Steven. The Beta Israel (Falasha) in Ethiopia. New York: New York University Press, 1992.

الفصل السابع: السحر في أوساط المتعلمين – خرافة في ثوب جديد

تمهيد

عند الحديث عن السحر والشعوذة، يذهب الذهن غالباً إلى الأوساط الفقيرة أو غير المتعلمة، حيث يسود الجهل وتضعف المعرفة. غير أن الواقع في المجتمعات السودانية والإريترية والإثيوبية والعربية يكشف عن مفارقة لافتة: المتعلمون، بما فيهم خريجو الجامعات وأصحاب الشهادات العليا، ليسوا بمعزل عن هذه الظاهرة، بل قد يكونون من أبرز عملاء المشعوذين. هذه المفارقة تستدعي البحث في الأسباب التي تجعل السحر يجد مكاناً في أوساط يُفترض أنها أكثر وعياً، مما يحوله إلى "خرافة في ثوب جديد"، تتلون بلبوس الحداثة والتعليم لكنها تظل قائمة على أو هام قديمة.

أولاً: تجليات الظاهرة بين المتعلمين

1. سحر الوظائف والعمل

كثير من خريجي الجامعات أو الموظفين في القطاع العام والخاص يلجأون إلى السحرة للحصول على وظيفة مرموقة أو ترقية وظيفية. ويُعتقد أن بعضهم يضع طلاس في مكاتب المنافسين لتعطيلهم، أو يستخدم "مسح الأثر" من مقاعدهم لإفقادهم التركيز والقدرة على الإنجاز.

2. سحر الامتحانات والتحصيل الأكاديمي

انتشرت في الجامعات قصص عن طلاب يزورون مشعوذين للحصول على "حجاب" يساعدهم في النجاح بالامتحانات، أو لتثبيت ذاكرتهم، أو لعرقلة زملائهم المتفوقين. وهنا يصبح السحر جزءاً من التنافس الأكاديمي، بدلاً من الاعتماد على الجهد والدراسة.

3. العلاقات العاطفية بين المتعلمين

الارتباط العاطفي والزواج يظل أحد المجالات الأكثر حضوراً للشعوذة، حتى بين الطبقات المتعلمة. فقد تلجأ بعض الطالبات أو الخريجات إلى "جلب الحبيب" عبر الطلاس، بينما يسعى آخرون لتعطيل زواج منافسة. وهكذا يُستنسخ الموروث الشعبي في بيئات حديثة كالجامعات والمدارس العليا.

ثانياً: أسباب انتشار السحر في الأوساط المتعلمة

1. ضعف الوعي النقدي

التعليم في كثير من الدول العربية والأفريقية يركز على الحفظ والتلقين، دون أن يرسخ قيم التفكير النقدي. لذلك، يبقى الفرد عرضة لتصديق الخرافة حتى وإن حاز على شهادات عليا.

2. الأزمات الاقتصادية والاجتماعية

البطالة، صعوبة الحصول على فرص عمل، وارتفاع نسب الفقر، تجعل المتعلم يبحث عن حلول بديلة، منها السحر باعتباره "طريقاً مختصراً" لتحقيق ما عجز عنه بالطرق الطبيعية.

3. الإرث الثقافي والديني الشعبي

حتى المتعلم لم يتحرر من الموروث الذي نشأ فيه. فهو يحمل معه المعتقدات الشعبية حول "الحسد" و"العين" و"الأثر"، ويعيد إنتاجها في حياته الحديثة، مع أنه يعيش في بيئة يفترض أنها علمية.

4. الإعلام وشبكات التواصل

قنوات فضائية وصفحات إلكترونية تروج للشعوذة تحت ستار "العلاج الروحاني"، وتستهدف شريحة واسعة من الشباب الجامعي. هذا التسويق جعل السحر يبدو "حديثاً" ومتواكباً مع العصر، لكنه في جوهره يعيد إنتاج نفس الخرافة القديمة.

ثالثاً: التأثيرات النفسية والاجتماعية

1. الإيحاء النفسي

المتعلم الذي يعتقد أن حياته مرتبطة بسحر أو طلسم يعيش حالة من القلق المستمر. ومع مرور الوقت، تتحول هذه الحالة إلى أعراض مرضية مثل الأرق والاكتئاب والوساوس.

2. النزاعات الاجتماعية

في الجامعات وأماكن العمل، يشيع الاتهام بالسحر بين الزملاء، ما يؤدي إلى انقسامات حادة وفقدان الثقة. فبدلاً من أن يُعزى الفشل إلى ضعف الأداء أو قلة الجهد، يُفسر بأنه نتيجة "سحر معقود" من زميل حاسد.

3. الاستغلال الاقتصادي

المشعوذون يستغلون هذه الفئمة المتعلمة بطرق أكثر تعقيداً، حيث يبيعون لهم خدمات بأسعار باهظة، بزعم أن "السحر الأبيض" أو "العلم الروحاني الحديث" هو الحل الأمثل.

رابعاً: شهادات وروايات

- في تقارير صحفية سودانية، ذكر طلاب جامعيون أنهم لجؤوا إلى "فكي" للحصول على أحجية تساعد في النجاح، بل إن بعضهم كان يعتقد أن الفشل في الامتحان سببه "عقدة" وضعها زميل منافس [1].
- دراسات إثيوبية أنثروبولوجية كشفت أن بعض الموظفين الحكوميين يلجؤون إلى السحر لتعطيل منافسيهم على الترقيات [2].

- شهادات من إريتريا أظهرت أن بعض خريجات الجامعات استخدمن "جلب الحبيب" في محاولة لتسريع الزواج أو السيطرة على شريك الحياة.

خامساً: الموقف الديني والفكري

1. الموقف الشرعي

الإسلام يرفض السحر بشكل مطلق، ولا يفرق بين متعلم وغير متعلم في هذا الحكم. قال الله تعالى: "ومن شر النفائات في العقد" (الفلق: 4)، وهو تحذير صريح من استخدام العقد والطلاسم كوسائل للأذى.

2. الموقف الفكري

الفلاسفة والمفكرون العرب، مثل ابن خلدون، رأوا أن السحر انعكاس لضعف الإنسان أمام المجهول، وأن المتعلم لا ينجو من هذا الضعف إذا لم يمتلك أدوات التفكير النقدي [3].

سادساً: أبعاد الظاهرة في الحاضر

1. السحر في الطبقات الوسطى

الطبقة الوسطى المتعلمة في السودان وإريتريا وإثيوبيا تعيش ضغوطاً اقتصادية هائلة، ما يجعلها أكثر عرضة للشعوذة. فهي تسعى لحلول سريعة دون انتظار مسارات واقعية طويلة.

2. السحر الإلكتروني

ظهرت إعلانات على وسائل التواصل الاجتماعي تستهدف الشباب الجامعي بعبارات مثل: "الحل عندنا... اجتياز الامتحانات بدون قلق" أو "طلسم للنجاح في المقابلات الوظيفية". هذا يثبت أن الشعوذة لم تتراجع، بل أعادت تشكيل نفسها بلغة تناسب المتعلمين.

الخاتمة

السحر في أوساط المتعلمين يكشف عن مفارقة مأساوية: فبدلاً من أن يكون التعليم حصناً ضد الخرافة، أصبح أحياناً أداة لتبريرها في ثوب جديد. ولعل السبب يكمن في غياب التربية النقدية والوعي الديني الصحيح، إضافة إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تدفع الناس إلى طرق غير عقلانية. مواجهة هذه الظاهرة لا بد أن تكون مزدوجة: إصلاح التعليم ليعزز التفكير النقدي، وتعزيز الوعي الديني والاجتماعي لتفكيك الخرافة، وتجريم استغلال المشعوذين لهذه الفئات.

- [1] سودان اندبندنت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- [2] Hassen, Mohammed. The Oromo and the Horn of Africa: A Historical-Anthropological Study. Addis Ababa: Addis Ababa University Press, 2010.
- [3] [ابن خلدون. المقدمة. بيروت: دار الفكر، 2004.
- [4] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.
- [5] [الجزيرة نت. "كيف أصبح السحر تجارة رائجة؟". 2 يوليو 2019. <https://www.aljazeera.net>.

الفصل الثامن: الدين والشعوذة – تناقض أم تداخل؟

تمهيد

منذ فجر التاريخ، ظل الدين والشعوذة يسيران على خطين متوازيين يتقاطعان أحياناً ويتناقضان في أحيان أخرى. الدين، بمختلف أشكاله السماوية والوضعية، يسعى إلى تهذيب الروح وتقويم السلوك وبناء مجتمع قائم على العقيدة والعبادة المنظمة، بينما الشعوذة تسعى إلى استغلال الخوف والجهل وحاجة الإنسان إلى السيطرة على المجهول عبر الطلاسم والتعاويذ. ومع ذلك، فإن الواقع الاجتماعي في السودان وإريتريا وإثيوبيا والعديد من المجتمعات العربية والأفريقية يكشف أن العلاقة بين الدين والشعوذة لم تكن دائماً علاقة صدام مطلق، بل كثيراً ما شهدت تداخلاً معقداً، أدى إلى ضبابية في وعي الناس، حيث امتزجت النصوص الدينية بالطلاسم، وارتدى المشعوذون لباس "الفقهاء" أو "الكهنة"، مما أعطى شرعية زائفة لممارساتهم.

أولاً: التناقض الجذري بين الدين والشعوذة

1. في الإسلام

الإسلام حرم السحر تحريماً قاطعاً، وجعله من الكبائر التي تخرج من الملة. قال تعالى: "واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يُعلمون الناس السحر" (البقرة: 102). كما ورد في السنة النبوية: "اجتنبوا السبع الموبقات... وذكر منها السحر" [1]. إذن، الموقف الإسلامي واضح وصريح، وهو رفض تام للشعوذة والسحر باعتبارهما ممارسات شركية تهدد العقيدة وتفسد المجتمع.

2. في المسيحية

الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية، مثلها مثل بقية الكنائس، أدانت السحر، وعدته عملاً شيطانياً. في الكتاب المقدس ورد النص: "وأما السحرة فلهم نصيبهم في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت" (رؤيا يوحنا 21:8). لكن على الرغم من هذا الرفض، استمرت بعض الممارسات السحرية متخفية داخل الأدعية الكنسية الشعبية، حيث يدمج الكهنة بين صلوات شرعية وطلاسم غامضة، ما جعل الحدود بين الدين والشعوذة غير واضحة تماماً [2].

3. في الديانات الأفريقية التقليدية

في المعتقدات الأفريقية القديمة، لم يكن هناك فصل بين الدين والسحر، بل كان السحر جزءاً من الطقوس الدينية اليومية. فقد كان الكاهن أو الساحر يُعتبر خادماً للأرواح وممثلاً لها، ووسيطاً بين الناس والعالم غير المرئي.

ثانيًا: التداخل بين الدين والشعوذة في الممارسات الشعبية

1. خلط النصوص المقدسة بالطلاسم

في السودان وإريتريا، يُلاحظ أن بعض "الفقهاء الشعبيين" يكتبون أوراقًا تحتوي على آيات قرآنية، لكنها ممزوجة بحروف وأرقام ورموز غير مفهومة. هذه الأوراق تُعطى للناس كـ "حجب" للرزق أو الزواج أو النجاح. وهكذا، تم توظيف النصوص الدينية لإضفاء الشرعية على أعمال الشعوذة.

2. الطقوس الكنسية في إثيوبيا

في الكنيسة الأرثوذكسية، بعض الأدعية كانت تُتلى بطريقة أقرب إلى الطقوس السحرية، خاصة في حالات إخراج الأرواح أو علاج الأمراض النفسية. وفي بعض القرى، كان الكاهن يُعطي ماءً مقدسًا مقدسًا ممزوجة برموز غير مفهومة، وهو ما يقترب كثيرًا من الشعوذة.

3. الزوايا والطرق الصوفية

في المجتمعات السودانية، بعض الطرق الصوفية لعبت دورًا مزدوجًا. فمن جهة، قدمت التربية الروحية والذكر والعبادة، ومن جهة أخرى، تبنت ممارسات مثل "الحجب" و"العزائم"، والتي تحولت أحيانًا إلى وسيلة للسيطرة الروحية والاجتماعية، مما جعلها منطقة رمادية بين الدين والشعوذة [3].

ثالثًا: العوامل التي ساهمت في التداخل

1. الجهل الديني: قلة المعرفة الشرعية عند العوام جعلتهم يخلطون بين الرقية الشرعية والسحر.
2. السلطة الروحية: المشعوذون استغلوا مكانة رجال الدين، فارتدوا لبوسهم لزيادة مصداقيتهم.
3. الحاجة الاجتماعية: الناس كانوا يبحثون عن حلول سريعة لمشاكلهم، سواء في الزواج أو الرزق أو الصحة، ما جعلهم يتقبلون أي ممارسة تحمل غطاءً دينيًا.
4. التوارث الثقافي: الممارسات القديمة استمرت تحت غطاء جديد، بحيث لم يتم القضاء عليها، بل أُعيد إنتاجها في قالب دينية.

رابعًا: النتائج المترتبة على التداخل

1. إضعاف الوعي الديني

الخلط بين الشعوذة والدين أدى إلى تآكل المفاهيم الصحيحة، حتى صار بعض الناس يعتقدون أن الطلاسم نوع من العبادة.

2. استغلال اقتصادي

المشعوذون الذين ارتدوا ثوب الدين وجدوا فرصة لاستغلال الناس ماديًا، حيث يبيعون لهم "حجبا شرعية" بأسعار باهظة.

3. تبرير الظلم الاجتماعي

في بعض الحالات، استخدمت السلطة الدينية الشعبية السحر لتبرير أوضاع اجتماعية ظالمة، مثل اتهام النساء بالسحر لتبرير إقصائهن أو التحكم في مصيرهن.

خامسًا: شهادات وروايات

- في روايات سودانية محلية، وُجد أن بعض الشيوخ كانوا يكتبون أوراقًا فيها آيات من القرآن ممزوجة برموز غامضة، ويعتبرونها وسيلة لحماية الشخص من الأعداء أو جلب الرزق [4].
- في إثيوبيا، سجّلت دراسات أنثروبولوجية أن بعض الكهنة الأرثوذكس كانوا يمارسون طقوسًا لطرد الأرواح لا تختلف كثيرًا عن ممارسات الشعوذة الأفريقية التقليدية [5].
- في إريتريا، ذكر بعض اللاجئين أن هناك "رقاة" يمارسون السحر تحت غطاء الرقية، ما زاد من صعوبة التفريق بين الممارسات الشرعية والمحرمة.

الخاتمة

الدين والشعوذة يقفان على طرفي نقيض من حيث المبادئ؛ فالدين يهدف إلى التوحيد واليقين بالله، بينما الشعوذة تقوم على الشرك والاعتماد على القوى الخفية. ومع ذلك، فإن الواقع الاجتماعي كشف عن تداخل كبير بينهما، حيث أعطت النصوص المقدسة شرعية زائفة لأعمال الشعوذة، وأصبح المشعوذون يختبئون خلف أقنعة دينية. إن إدراك هذا التداخل ضروري لفهم جذور استمرار الظاهرة، ولصياغة استراتيجيات إصلاحية تقوم على تصحيح المفاهيم الدينية، تعزيز التعليم النقدي، وتجريم استغلال الدين لتبرير الشعوذة.

- [1] البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب الطب.
- Kaplan, Steven. Magic and Religion in Orthodox Ethiopia. New York: NYU [2]
Press, 1992.
- [3] [أبو القاسم، الطيب. التصوف السوداني بين العبادة والشعوذة. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 2001.
- [4] سودان اندبندنت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in [5]
.Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989

الفصل التاسع: الطرق الصوفية وأنصار السنة – بين المقاومة والانخراط في الظاهرة

تمهيد

يُشكّل الدين الشعبي في السودان وإريتريا وإثيوبيا ساحةً متشابكة يتداخل فيها التصوف، الدعوة السلفية (أنصار السنة)، والممارسات التقليدية التي تتأرجح بين الإيمان الصادق والشعوذة. وعلى الرغم من أن الإسلام نصّ صراحة على تحريم السحر والشعوذة، فإن بعض التيارات الدينية في المنطقة تعاملت مع هذه الظاهرة بمواقف متباينة: فمنها من تصدّى لها وحذّر من خطورتها، ومنها من تورّط فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، عبر دمجها بالممارسات الروحية أو تبريرها باسم العادات. ومن أبرز هذه التيارات: الطرق الصوفية التي تنتشر على نطاق واسع، وجماعة أنصار السنة المحمدية ذات التوجه السلفي.

أولاً: الطرق الصوفية بين الروحانية والانخراط في الشعوذة

1. الخلفية الروحية

التصوف في السودان وإريتريا له جذور ضاربة في التاريخ منذ القرون الوسطى، وهو قائم على الذكر، والخلو، والتربية الروحية. وقد لعب الصوفيون أدواراً إصلاحية بارزة، خصوصاً في التعليم ونشر الإسلام في الأرياف.

2. الطقوس والممارسات الشعبية

غير أن بعض الطرق الصوفية سمحت بتسرّب ممارسات الشعوذة إلى طقوسها، خاصة في:

- الحجب والعزائم: حيث تُكتب أوراق تحتوي على آيات قرآنية مع رموز وطلاسم غامضة وتُعطى للناس للحماية أو العلاج.
- الزار: بعض الطرق أضفت طابعاً "دينياً" على طقوس الزار المرتبطة بالأرواح، مما جعلها تبدو وكأنها جزء من العبادة.
- التبرك بالمشايخ: اعتقاد أن للمشايخ قدرة على شفاء الأمراض أو جلب الرزق، أحياناً عبر وسائل لا تخلو من ممارسات سحرية [1].

3. التناقض الصوفي

الطرق الصوفية نفسها ليست كتلة واحدة، فبينما ينخرط بعض شيوخها في هذه الممارسات، نجد آخرين قاوموها بشدة، مؤكدين أن التصوف الحقيقي هو التزكية والذكر لا الشعوذة.

ثانيًا: أنصار السنة المحمدية – مقاومة معلنة وتحديات واقعية

1. التوجه السلفي

جماعة أنصار السنة المحمدية ظهرت في السودان في القرن العشرين متأثرة بالدعوة السلفية، وكان من أهم مبادئها محاربة البدع والخرافات، بما فيها الشعوذة والسحر.

2. جهود المقاومة

- إصدار كتب ومحاضرات وخطب ضد السحر، تبين أنه من الكبائر.
- فضح الممارسات الشعبية التي تمزج بين الدين والخرافة.
- مواجهة الطرق الصوفية التي تشرعن بعض الممارسات الطقوسية [2].

3. المفارقة الواقعية

رغم هذا الموقف، لم يخلُ الوسط السلفي نفسه من تأثر بالثقافة الشعبية، إذ يروي بعض الباحثين أن أفرادًا من أنصار السنة كانوا في الخفاء يستعينون بالرقاة أو يقتنون "حجبا شرعية" بزعم أنها ليست شعوذة بل علاج بالقرآن، ما يعكس صعوبة الفصل التام بين الموروث الشعبي والممارسة الدينية [3].

ثالثًا: دوافع الانخراط والمقاومة

1. الدافع الاجتماعي: المجتمع يضغط على المؤسسات الدينية لتقديم حلول لمشاكل الزواج والرزق والمرض، مما يدفع بعض الطرق أو الجماعات إلى استرضاء الناس بممارسات قريبة من الشعوذة.
2. الدافع الاقتصادي: الحجب والعزائم مصدر دخل ثابت لبعض المشايخ، ما يجعل التخلي عنها صعبًا.
3. الدافع الديني: لدى أنصار السنة قناعة أن حماية العقيدة من الخرافات واجب شرعي، ما يجعلهم أكثر صرامة في التصدي للظاهرة.
4. الدافع النفسي: المشايخ، سواء الصوفيون أو السلفيون، قد يواجهون ضغطًا لتلبية توقعات المجتمع، فيلجؤون إلى أدوات رمزية تمنحهم سلطة روحية مضاعفة.

رابعًا: النتائج المترتبة

1. في المجتمع

- الطرق الصوفية ساهمت أحيانًا في تكريس الخلط بين الدين والشعوذة، مما جعل الناس يعتقدون أن السحر "جزء من الدين".
- أنصار السنة ساهموا في نشر الوعي، لكن صرامتهم خلقت فجوة مع المجتمعات الريفية التي لا تزال مرتبطة بالممارسات التقليدية.

2. في الدين

- التصوف الحقيقي تضرر بارتباط بعض الطرق بالشعوذة.
- السلفية عانت من صورة "المتشددین" الذين لا يراعون الثقافة الشعبية، رغم جهودهم في محاربة السحر.

خامساً: شهادات ومرويات

- يذكر المؤرخ الطيب محمد الطيب أن بعض الزوايا الصوفية في السودان كانت تتبع الحجب على نطاق واسع، وتعتبرها مصدرًا ماليًا للزاوية [4].
- تقارير صحفية حديثة أكدت أن بعض أتباع أنصار السنة في الريف يرفضون تمامًا المشاركة في طقوس الزار، ويعتبرونها شركًا صريحًا [5].
- في إريتريا، أشارت روايات محلية إلى أن مشايخ صوفيين كانوا يُستدعون لحل مشاكل الزواج عبر الطلاس، بينما شباب متأثرون بأنصار السنة حاولوا منع هذه الممارسات في القرى.

الخاتمة

الطرق الصوفية وأنصار السنة يمثلان نموذجين مختلفين في التعامل مع ظاهرة السحر والشعوذة: الأولى انخرطت في بعض الممارسات بحكم التصاقها بالثقافة الشعبية والبحث عن النفوذ الاجتماعي والاقتصادي، بينما الثانية قاومتها على أساس ديني وعقدي، لكنها وجدت نفسها أحيانًا في مواجهة مع المجتمع نفسه. إن فهم هذا التباين يساعد على إدراك أن محاربة الشعوذة ليست مجرد مسألة دينية، بل تتطلب أيضًا معالجة اجتماعية وثقافية واقتصادية، تُعيد التوازن بين الإيمان الصحيح ورفض الاستغلال باسم الدين.

المراجع

- [1] أبو القاسم، الطيب. التصوف السوداني بين العبادة والشعوذة. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 2001.
- [2] جماعة أنصار السنة المحمدية. الخرافة والشركيات في السودان. الخرطوم: مطابع الصحة، 1995.
- [3] Hale, Sondra. Gender Politics in Sudan: Islamism, Socialism, and the State. Boulder: Westview Press, 1996.
- [4] الطيب، محمد الطيب. الطرق الصوفية في السودان. الخرطوم: الهيئة القومية للثقافة والفنون، 1989.
- [5] الجزيرة نت. "السلفية والصوفية في السودان: صراع العقيدة والثقافة الشعبية". 12 يوليو 2017.

الفصل العاشر: السحر في الفقه الإسلامي – النصوص الشرعية وأحكام العلماء

تمهيد

السحر من القضايا الكبرى التي تناولها الفقه الإسلامي منذ البدايات الأولى لظهور الإسلام، لما له من أثر مباشر على العقيدة والمجتمع. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما أفاض فيه العلماء من مختلف المذاهب، معتبرين إياه بأباً خطيراً يهدد صفاء التوحيد ويقوض استقرار المجتمع. ولا يمكن النظر إلى السحر في الفقه الإسلامي على أنه مجرد قضية جزئية، بل هو موضوع متكامل يجمع بين العقيدة، والفقه الجنائي، والأحكام الشرعية المتعلقة بعلاقة المسلم بربه وبمجتمعه.

أولاً: السحر في القرآن الكريم

1. الآيات التي تناولت السحر

ورد السحر في مواضع متعددة من القرآن، أبرزها:

- قوله تعالى: "واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يُعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت" (البقرة: 102). هذه الآية تعد من أهم النصوص القرآنية التي تُبين خطورة السحر وارتباطه بالكفر.
- قوله تعالى: "ومن شر النفاثات في العقد" (الفرقان: 4)، إشارة صريحة إلى طقوس السحرة الذين ينفثون في العقد للتأثير على الناس.
- قوله تعالى في قصة موسى مع سحرة فرعون: "سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم" (الأعراف: 116).

2. دلالات قرآنية

- السحر مرتبط بالشياطين، وليس بقدرات بشرية طبيعية.
- السحر قد يوقع صاحبه في الكفر إذا لجأ إلى الاستعانة بالجن والشياطين.
- القرآن الكريم يفرق بين "المعجزة الإلهية" و"السحر الباطل"، مؤكداً أن الحق يزهق الباطل مهما بدا عظيماً.

ثانياً: السحر في السنة النبوية

1. أحاديث التحريم

- قال رسول الله ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات"، وذكر منها السحر (رواه البخاري ومسلم).
- وفي حديث آخر: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه" (رواه النسائي).

2. وقائع تاريخية

من أشهر الوقائع حادثة سحر لبید بن الأعصم اليهودي للنبي ﷺ، حيث أثر عليه في بعض أموره البشرية، حتى أنزل الله سورة الفلق والناس كمعوذتين لحمايته. وقد استدلل العلماء بهذه القصة على أن السحر قد يؤثر في الجسد أو المشاعر، لكنه لا يمس النبوة أو الوحي [1].

ثالثًا: مواقف المذاهب الفقهية

1. المذهب الحنفي

يرى الحنفية أن السحر كفر إذا تضمن اعتقادًا يخالف التوحيد، كادعاء معرفة الغيب أو الاستعانة بالشياطين. ويعتبر الساحر مستحقًا للقتل إذا كان سحره كفرًا صريحًا، سواء كان رجلًا أو امرأة [2].

2. المذهب المالكي

يرى المالكية أن السحر كفر في جوهره، ولا يُعذر صاحبه بالجهل. ومن ثم، فإن الساحر يُقتل حدًا، حتى وإن ادعى التوبة، وذلك سدًا لباب الفتنة.

3. المذهب الشافعي

الشافعية يفرقون بين السحر الذي هو كفر، وبين ما ليس بكفر ولكنه محرم شديد التحريم. ويرون أن الساحر إذا قتل بسحره، فإنه يقتص منه بالقتل. أما إذا لم يقتل، فيعزر تعزيرًا شديدًا [3].

4. المذهب الحنبلي

الحنابلة أشد المذاهب في هذا الباب، فقد نقل عن الإمام أحمد قوله: "الساحر كافر، يُقتل ولا يُستتاب". ويستندون في ذلك إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اقتلوا كل ساحر وساحرة" [4].

رابعًا: أنواع السحر وأحكامها الشرعية

1. سحر التأثير: كالعقد والنفث والتمائم. حكمه الكفر إذا صاحبه استعانة بالشياطين.
2. سحر التخيل: كما فعل سحرة فرعون، حيث يخيل للعين ما ليس واقعًا. حكمه التحريم، ولا يبلغ الكفر إلا إذا صاحبه اعتقاد باطل.
3. سحر الاستعانة بالجن: أشد أنواعه خطورة، إذ غالبًا ما يقترن بالكفر.
4. السحر العلاجي (المزعوم): مثل استخدام الطلاسم بزعم العلاج. هذا محرم لأنه يدخل في باب الشعوذة والاعتماد على غير الله.

خامسًا: أقوال العلماء

- ابن تيمية: أكد أن السحر لا يمكن أن يقع إلا بالاستعانة بالجن والشياطين، وأن صاحبه لا ينفك عن الكفر أو الفسق. كما فرق بين الرقية الشرعية المبنية على القرآن، وبين الرقية الشركية المبنية على الطلاس [5].
- القرطبي: في تفسيره، بيّن أن تعلم السحر وتعليمه كفر صريح، مستدلًا بآية البقرة.
- ابن حجر العسقلاني: اعتبر أن السحر حقيقي وليس مجرد خيال، مستشهدًا بقصة النبي ﷺ مع لبيد بن الأعصم.

سادسًا: الفقه الجنائي الإسلامي والسحر

1. العقوبة الشرعية

- جمهور العلماء يرى أن عقوبة الساحر القتل، سواء كان رجلًا أو امرأة.
- بعضهم ميّز بين الساحر الكافر والساحر المسلم العاصي، فجعل عقوبة الأول القتل حدًا، والثاني التعزير.

2. الإثبات القضائي

إثبات السحر في القضاء الإسلامي صعب لأنه يعتمد على قرائن وشهادات، وقد يتطلب اعتراف الساحر نفسه. ولهذا، شدد العلماء على الحذر في إصدار الأحكام، حتى لا يُظلم الأبرياء باتهامات باطلة.

سابعًا: التداخل بين الفقه والشعوذة الشعبية

رغم وضوح النصوص الشرعية، فإن المجتمعات الشعبية كثيرًا ما دمجت بين الفقه والشعوذة، فاستعملت نصوصًا دينية لتبرير الحجب والطلاسم. وبهذا، أُعطي للسحر "غلاف شرعي" وهمي زاد من انتشاره. وهذا التداخل من أخطر ما يواجه الأمة، لأنه يطمس الحدود بين الحلال والحرام.

الخاتمة

السحر في الفقه الإسلامي قضية محسومة من حيث التحريم والتحذير الشديد، بل يصل إلى حد الكفر إذا تضمن اعتقادًا يناقض التوحيد. النصوص القرآنية والأحاديث النبوية قطعت الطريق على الممارسات السحرية، بينما جاءت أقوال العلماء لتفصل في أحكام الساحر وعقوبته. غير أن التحدي الأكبر لا يكمن فقط في النصوص، بل في التطبيق الاجتماعي، حيث يظل الخلط بين الدين والشعوذة قائمًا. إن إعادة بناء وعي الأمة بمفهوم التوحيد الخالص، ونشر الثقافة الشرعية الصحيحة، وتجريم الممارسات السحرية شعبيًا وقانونيًا، هو السبيل الحقيقي لمواجهة هذه الآفة.

- [1] البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. كتاب الطب.
- [2] السرخسي، محمد بن أحمد. المبسوط. بيروت: دار المعرفة، 1986.
- [3] النووي، يحيى بن شرف. المجموع شرح المذهب. القاهرة: دار الفكر، 1997.
- [4] ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. المغني. بيروت: دار الفكر، 1985.
- [5] ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. الرياض: مكتبة المعارف، 1995.
- [6] القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964.
- [7] ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1959.

الفصل الحادي عشر: البعد النفسي – لماذا يصدق الناس الشعوذة؟

تمهيد

الشعوذة ليست مجرد ممارسة اجتماعية أو ثقافية، بل هي بالدرجة الأولى انعكاس لحاجات ودوافع نفسية عميقة لدى الأفراد والجماعات. فالإيمان بالسحر والطلاسم ليس وليد الجهل وحده، بل يرتبط أيضًا ببنية العقل الإنساني، وآليات الدفاع النفسي، وحاجته إلى تفسير ما يعجز عن فهمه. في السودان وإريتريا وإثيوبيا والعالم العربي والأفريقي، يستمر تصديق الناس للشعوذة رغم انتشار التعليم والعلوم الحديثة، وهو ما يطرح سؤالاً جوهرياً: لماذا يصدق الناس هذه الممارسات رغم وضوح بطلانها؟

أولاً: الخوف من المجهول

1. طبيعة القلق الإنساني

الإنسان بطبيعته يخشى المجهول، سواء تعلق الأمر بالمرض أو الفقر أو المستقبل. وعندما يعجز عن تفسير ما يحدث له، يلجأ إلى أي تفسير يمنحه شعوراً بالسيطرة. هنا يأتي السحر كإجابة سهلة: "مشكلتي ليست بسبب الظروف أو تقصيري، بل لأن أحدهم عقد لي أثراً أو ألقى عليّ عيناً".

2. الرغبة في الطمأنينة

حتى وإن كان التفسير وهمياً، إلا أنه يوفر للإنسان راحة نفسية مؤقتة. فبدلاً من مواجهة صعوبات الواقع، يشعر أن هناك "حلاً" بيد المشعوذ يمكنه فك العقد أو إزالة الطلسم.

ثانياً: قوة الإيحاء والتأثير النفسي

1. تأثير الإيحاء

الإيحاء النفسي أحد أقوى العوامل التي تجعل الشعوذة مقنعة. عندما يخبر المشعوذ الضحية بأنها ستشفى أو ستحل عقبتها بعد تنفيذ طقس معين، يدخل العقل في حالة "برمجة" تجعله يشعر فعلاً بالتحسن، وهو ما يسمى في علم النفس بتأثير الدواء الوهمي (1) [Placebo Effect].

2. توقعات الفرد

إذا كان الشخص مقتنعاً مسبقاً بأن السحر حقيقي، فإن أي صدفة تحدث في حياته سيُفسر لها بأنها دليل على فعالية الطلاسم. مثلاً: إذا شرب دواءً ثم شُفي، سيربط الشفاء بالطلاسم لا بالدواء.

ثالثاً: الحاجة إلى شماعة للفشل

1. الهروب من المسؤولية

الإيمان بالشعوذة يوفر للفرد وسيلة للهروب من مواجهة فشله. فبدلاً من الاعتراف بالتقصير في الدراسة أو العمل أو العلاقات، يلقي باللوم على "الحسد" أو "السحر المعقود".

2. تعزيز صورة الذات

عندما يفشل المتعلم أو المثقف، قد يجد في اتهام الآخرين بعمل السحر ضده وسيلة لحماية صورته أمام المجتمع، إذ يُظهر نفسه كضحية مؤامرة وليس كمسؤول عن إخفاقاته.

رابعاً: الضغوط الاجتماعية والثقافية

1. الموروث الشعبي

الثقافات السودانية والإريترية والإثيوبية والعربية مليئة بقصص عن مسح الأثر والسحر. هذه القصص تنتقل عبر الأجيال، فتُصبح جزءاً من الهوية الجماعية، ويصعب التشكيك فيها دون مواجهة ضغط اجتماعي شديد.

2. سلطة الجماعة

الفرد في المجتمعات التقليدية يخضع لضغط الجماعة. فإذا صدّق المحيطون به أن مرضه بسبب "أثر مأخوذ"، يجد نفسه مجبراً على تصديقهم والذهاب إلى المشعوذ، حتى لو كان عقله الراشد يرفض الفكرة.

خامساً: العوامل النفسية الفردية

1. القابلية للإيحاء

الأشخاص ذوو البنية النفسية الضعيفة أو القلقة أكثر عرضة لتصديق الشعوذة. فهم يبحثون عن إجابات سريعة ومطمئنة، حتى وإن كانت غير عقلانية.

2. الصدمات والاضطرابات

الذين يعانون من صدمات نفسية أو اضطرابات كالوسواس القهري أو الاكتئاب قد يكونون أكثر ميلاً لتصديق أنهم مسحورون، لأن حالتهم النفسية تجعلهم يشعرون بوجود قوة خارجية تتحكم فيهم [2].

3. النساء والشباب

تشير الدراسات الأنثروبولوجية إلى أن النساء والشباب أكثر فئات المجتمع عرضة للشعوذة، نظراً لتعرضهم لضغوط اجتماعية واقتصادية ونفسية أكبر، مثل تأخر الزواج أو البطالة أو الشعور بالعجز أمام التوقعات المجتمعية.

سادساً: الدور النفسي للمشعوذ

المشعوذ ليس مجرد بائع أو هام، بل يؤدي دوراً نفسياً يشبه دور المعالج أو المرشد. فهو يستمع للضحية، يقدّم لها تفسيرات جاهزة، ويمنحها شعوراً زائفاً بالأمان. هذا "الاحتواء النفسي" يفسر استمرار إقبال الناس عليه رغم معرفتهم العقلية ببطلان ممارساته.

سابعاً: التناقض بين التعليم والإيمان بالشعوذة

رغم أن التعليم يفترض أن يحرر الإنسان من الخرافات، إلا أن غياب التربية النقدية يجعل المتعلم أكثر عرضة للشعوذة أحياناً. ذلك لأن المتعلم يواجه تحديات أكبر (وظائف، منافسة، علاقات) فيبحث عن حلول سريعة، فيقع في الفخ نفسه. وهذا ما يجعل الشعوذة تتجدد في ثوب جديد بين الطبقات الوسطى والجامعية، كما رأينا في الفصول السابقة.

ثامناً: أمثلة واقعية وشهادات

- في دراسة أنثروبولوجية عن المجتمعات السودانية، وُجد أن نسبة كبيرة من النساء اللواتي يعانين من تأخر الزواج يلجأن إلى الشعوذة، رغم أنهن على دراية بتحريمها شرعاً [3].
- في إثيوبيا، أظهرت دراسات ميدانية أن الموظفين الحكوميين والمتعلمين أنفسهم يعتقدون أن زملاءهم يستخدمون السحر لتعطيل ترقيةاتهم [4].
- في إريتريا، ذكر لاجئون أن الخوف من الشعوذة متجذر لدرجة أن بعضهم لا يترك ثيابه في الأماكن العامة، خشية استخدامها في أعمال السحر.

الخاتمة

البعد النفسي للشعوذة يكشف أن الإيمان بها ليس مجرد جهل أو أمية، بل هو استجابة طبيعية لحاجات إنسانية عميقة: الخوف من المجهول، الرغبة في الطمأنينة، الحاجة إلى تبرير الفشل، والبحث عن إجابات سهلة لمشاكل معقدة. وما لم تتم معالجة هذه الدوافع النفسية من خلال التربية النقدية، والإرشاد النفسي، وتعزيز الثقة بالله وبالقدرات الذاتية، ستظل الشعوذة تجد طريقها إلى عقول الناس مهما بلغوا من التعليم والثقافة.

- Kirsch, Irving. The Placebo Effect: An Interdisciplinary Exploration. Oxford: [1]
Oxford University Press, 1997.
- [2] Freud, Sigmund. The Interpretation of Dreams. New York: Basic Books,
2010.
- [3] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in
Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.
- [4] Hassen, Mohammed. The Oromo and the Horn of Africa: A
Historical-Anthropological Study. Addis Ababa: Addis Ababa University Press,
2010.
- [5] [5] سودان اندبندنت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس
.2019.

الفصل الثاني عشر: البعد الاجتماعي – الحسد، الغيرة، والصراعات الأسرية

تمهيد

تُعد الشعوذة والسحر انعكاسًا لمشكلات اجتماعية عميقة تتجاوز الإيمان بالغيبيات إلى ممارسات يومية تؤثر في النسيج الأسري والعلاقات الاجتماعية. فالحسد والغيرة والصراعات داخل الأسرة أو بين الأقارب ليست مجرد عواطف إنسانية عابرة، بل قد تتحول إلى دوافع مباشرة للجوء إلى الشعوذة والسحر. في السودان وإريتريا وإثيوبيا وسائر العالم العربي، أصبح السحر وسيلة غير مباشرة لتصفية الحسابات الاجتماعية، سواء بين الزوجين، أو بين الزوجة وأهل الزوج، أو بين الجيران والأقارب. ومن هنا يبرز البعد الاجتماعي للشعوذة باعتباره أخطر أبعادها، لأنه يضرب وحدة المجتمع من الداخل.

أولاً: الحسد كوقود للشعوذة

1. الحسد في الوعي الشعبي

الحسد في الثقافة الشعبية يُنظر إليه باعتباره قوة مدمرة، يمكن أن تفسد الصحة، وتُعطل الزواج، وتُبطل الرزق. وقد ارتبطت به أمثال شائعة مثل: "العين تكسر الحجر"، و"ما يحسد المال إلا صاحبه".* هذه الأمثال ترسخ الاعتقاد بأن أي نجاح أو تميز لا بد أن يُستهدف بالحسد.

2. من الحسد إلى الشعوذة

كثير من الأفراد لا يكتفون بالغيرة الصامتة، بل يحاولون الانتقام عبر السحر. في السودان، تذكر روايات أن بعض النساء يلجأن إلى "الفكي" لأخذ أثر جاراتهن الجميلات أو الناجحات، لتعطيل حظوظهن في الزواج أو العمل. وفي إريتريا، تنتشر قصص عن شباب استهدفوا بسحر "مسح الأثر" بعد أن حققوا نجاحًا مهنيًا أو اجتماعيًا.

3. الأثر الاجتماعي للحسد

الحسد المتحول إلى شعوذة يخلق بيئة من عدم الثقة، حيث يصبح كل نجاح مشبوهًا وكل فشل مرتبطًا بعمل سحري، مما يضعف التضامن الاجتماعي ويزيد الانقسامات بين الناس.

ثانيًا: الغيرة في العلاقات الأسرية

1. الغيرة الزوجية

الغيرة بين الزوجات (في حالة التعدد) أو بين الزوجة وزوجها قد تدفع أحد الطرفين إلى اللجوء للسحر للسيطرة على الآخر. في بعض القرى السودانية، يُعتقد أن الزوجة قد تلجأ إلى "ربط" زوجها بطلاسم تمنعه من الالتفات إلى أخرى.

2. الغيرة بين الأخوة

النجاح أو الفشل الاقتصادي للأبناء قد يثير غيرة بعض الإخوة، مما يدفعهم إلى اللجوء للشعوذة لتعطيل أعمال أشقائهم. هذا النوع من السحر العائلي يؤدي إلى تفكك الروابط الأخوية التي يُفترض أن تكون مصدر دعم.

3. الغيرة بين الأقارب والجيران

في الأحياء الشعبية، نجاح أسرة في بناء منزل أو إرسال أبنائها للتعليم العالي قد يثير غيرة الآخرين، فيتحول الحسد إلى عمل سحري يهدف إلى إلحاق الأذى بتلك الأسرة.

ثالثًا: الصراعات الأسرية ودور الشعوذة

1. صراع الزوجة مع أهل الزوج

من أبرز مظاهر الشعوذة المرتبطة بالأسرة، ما يحدث بين الزوجة وحمايتها أو أخوات زوجها. ففي بعض المجتمعات، تتهم الزوجة بأنها "مربوطة" أو "مسحورة" لإفساد علاقتها بالزوج. وفي حالات أخرى، يُلجأ للسحر لطرد الزوجة من بيت الزوجية.

2. صراع الورثة

بعد وفاة أحد الوالدين، قد يلجأ بعض الورثة إلى الشعوذة لتعطيل إخوته أو إلحاق المرض بهم، بغية الاستئثار بالنصيب الأكبر من الميراث.

3. الطلاق والتفكك الأسري

في بعض الحالات، يصبح السحر سببًا مباشرًا للطلاق، حيث يقتنع أحد الطرفين أن الآخر مسحور أو أنه لجأ للشعوذة ضده. هذا الاعتقاد يهدم الثقة ويؤدي إلى انهيار الحياة الزوجية.

رابعًا: النتائج الاجتماعية للشعوذة القائمة على الحسد والغيرة

1. تفكك الأسرة: إذ تتحول الخلافات البسيطة إلى صراعات معقدة بسبب تدخل الشعوذة.

2. انتشار الخوف وعدم الثقة: حيث يعيش الناس في حالة ترقب دائم من "الجار الحاسد" أو "القريب الغيور".

3. إضعاف روح التعاون: لأن الناس يعتقدون أن كل إنجاز سيُقابل بالسحر، فيفقدون الدافع للعمل الجماعي.

4. ترسيخ العقلية الاتكالية: حيث يفسر الناس فشلهم بالحسد والسحر بدلًا من البحث عن الأسباب الواقعية.

خامساً: شهادات وروايات

- في دراسة ميدانية بولاية شمال كردفان، أظهرت النتائج أن أكثر من 60% من النساء يعتقدن أن تأخر الزواج أو الطلاق سببه "سحر من الغير بدافع الغيرة" [1].
- في إريتريا، ذكر لاجئون أن بعض الأسر تُحمل فشل أبنائها الدراسي مسؤولية "سحر مدفون من قريب غيور" [2].
- تقارير إثيوبية أنثروبولوجية بيّنت أن الغيرة الاقتصادية بين المزارعين كثيراً ما تتحول إلى اتهامات متبادلة بالشعوذة، ما يؤدي إلى انقسام المجتمعات المحلية [3].

سادساً: دور المؤسسات الدينية والاجتماعية في المواجهة

1. المؤسسات الدينية: ضرورة التوعية بأن الحسد حقيقة مذكورة في النصوص، لكن العلاج يكون بالتحصين الشرعي لا بالشعوذة. قال الله تعالى: "ومن شر حاسد إذا حسد" (الفلق: 5).
2. المؤسسات التعليمية: إدخال برامج توعية تُظهر العلاقة بين الحسد والصراعات الاجتماعية، مع التركيز على قيم التعاون والتسامح.
3. المجتمع المدني: إنشاء مبادرات للمصالحة الأسرية والحد من النزاعات التي تُستغل لصالح المشعوذين.

الخاتمة

الحسد والغيرة والصراعات الأسرية ليست مجرد مشاعر طبيعية، بل تتحول في بعض المجتمعات إلى دوافع أساسية للشعوذة والسحر. هذه الظاهرة تخلق دوائر من الخوف والشك وتضعف الأسرة والمجتمع. إن مواجهة هذه المشكلة لا تكون فقط عبر الفقه أو القانون، بل أيضاً عبر التربية الأسرية، وتعزيز الوعي الديني الصحيح، ونشر قيم الثقة والتسامح. إن بناء مجتمع متماسك يتطلب تجفيف منابع الحسد والغيرة، وردع المشعوذين الذين يحولون هذه المشاعر الإنسانية إلى أدوات للتدمير الاجتماعي.

- [1] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.
- [2] Hassen, Mohammed. The Oromo and the Horn of Africa: A Historical-Anthropological Study. Addis Ababa: Addis Ababa University Press, 2010.
- [3] [سودان اندبنونت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- [4] القرآن الكريم، سورة الفلق، الآية 5.
- [5] الطيب، محمد الطيب. المعتقدات الشعبية والعلاقات الاجتماعية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 1998.

الفصل الثالث عشر: الإعلام والدجل – من قنوات “جلب الحبيب” إلى الشعوذة الإلكترونية

تمهيد

أخذت الشعوذة في العصر الحديث بُعدًا جديدًا تجاوز حدود الأسواق الشعبية والمجالس السرية إلى فضاءات أكثر اتساعًا وتأثيرًا بفضل الإعلام التقليدي والرقمي. فقد تحولت من ممارسة محلية مرتبطة بـ"الفكي" أو "العرافة" إلى صناعة إعلامية متكاملة، تُسوّق عبر القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي. وبهذا الانتقال، اكتسبت الشعوذة قدرة غير مسبقة على الانتشار والتغلغل في العقول، خاصة بين الفئات البسيطة أو الباحثة عن حلول سريعة لمشكلاتها العاطفية والاجتماعية والاقتصادية.

أولاً: القنوات الفضائية والشعوذة

1. برامج “جلب الحبيب” و“فك المربوط”

منذ مطلع الألفية الثالثة، ظهرت على شاشات فضائية عربية عديدة برامج مخصصة للشعوذة، يقدمها أشخاص يرتدون زيًا دينيًا أو تقليديًا، ويعلنون قدرتهم على “جلب الحبيب خلال 24 ساعة”، أو “رد المطلقة”، أو “فك المربوط”. هذه البرامج لم تكتفِ بالترويج لممارسات محرمة دينيًا ومجرمة قانونيًا في بعض الدول، بل نجحت في بناء سوق ضخمة تستنزف أموال البسطاء [1].

2. الخلط بين الدين والشعوذة

لإضفاء الشرعية، كان مقدمو هذه البرامج يستشهدون بآيات قرآنية أو أدعية، ثم يدمجونها بطلاسم ورموز غامضة. هذا الخلط جعل المشاهد البسيط عاجزًا عن التمييز بين الرقية الشرعية والسحر المحرم.

3. البعد الاقتصادي

القنوات الفضائية كانت تجني أرباحًا طائلة عبر الاتصالات الهاتفية المدفوعة أو الإعلانات المرتبطة بهذه البرامج، ما جعلها تُغض الطرف عن الجانب الأخلاقي والديني، وتركز فقط على الربح المالي.

ثانيًا: الصحف والمجلات كمنابر للشعوذة

1. إعلانات الحلول السحرية

في بعض الصحف العربية والإفريقية، وُجدت صفحات مخصصة لإعلانات من نوع: “شيخ روحاني لحل جميع المشاكل”. وتضم هذه الإعلانات أرقام هواتف وعناوين بريدية، في استغلال واضح لليأس البشري من مشكلات الزواج أو العمل أو الصحة.

2. صناعة الوهم

هذا النوع من الإعلانات ساعد في تحويل الشعوذة إلى صناعة منظمة، حيث صار "الشيخ" أو "المعالج الروحاني" يُعامل كخبير معتمد، بينما هو في الحقيقة يستغل الجهل والحاجة.

ثالثًا: الإنترنت والشعوذة الإلكترونية

1. مواقع السحر على الشبكة

مع انتشار الإنترنت، ظهرت آلاف المواقع التي تقدم خدمات الشعوذة، بدءًا من "فتح النصيب"، إلى "جلب الحبيب بالبخور"، وصولًا إلى "الحماية من العين عبر الطلاسم الرقمية". هذه المواقع تجذب زوارًا من مختلف الفئات، وتستغل ضعف الوعي الديني والتقني.

2. الشعوذة عبر البريد الإلكتروني

في بدايات الإنترنت، انتشرت رسائل بريدية تعد بالثروة أو الزواج إذا قام المتلقي بترديد دعاء معين أو دفع رسوم صغيرة. ومع مرور الوقت، تطورت هذه الرسائل إلى عمليات نصب معقدة عبر "المعالجين الافتراضيين".

3. التطبيقات الذكية

اليوم، توجد تطبيقات على الهواتف الذكية تدّعي أنها تقدم "خدمات روحانية"، من قراءة الطالع إلى تفسير الأحلام وربط العلاقات. هذه التطبيقات تمثل الشكل الجديد للشعوذة في ثوب رقمي، حيث تجمع بين التسويق الإلكتروني واستغلال المشاعر الإنسانية.

رابعًا: الشعوذة في وسائل التواصل الاجتماعي

1. "شيوخ التيك توك" و"عرّافي فيسبوك"

تحولت منصات مثل فيسبوك وتيك توك إلى ساحات جديدة للشعوذة، حيث يظهر أشخاص يقدّمون أنفسهم على أنهم "خبراء روحانيون"، يزعمون القدرة على حل المشاكل العاطفية أو المادية. وقد حصد بعضهم ملايين المتابعين، مما زاد من تأثيرهم على الجمهور.

2. المجموعات المغلقة

هناك مجموعات مغلقة على فيسبوك وواتساب تُستخدم لبيع الطلاسم وتبادل وصفات "السحر الإلكتروني". هذه المجموعات تجذب شبابًا ونساءً يبحثون عن حلول سريعة، فيقعون ضحايا للاحتيال المالي أو الابتزاز.

3. البث المباشر كأداة للتأثير

يستخدم بعض الدجالين البث المباشر لزيادة مصداقيتهم، حيث يتظاهرون بالتواصل مع "الأرواح" أو قراءة "الأثر" مباشرة أمام الجمهور، في أسلوب أقرب إلى العروض المسرحية لكنه يلقي رواجاً بين البسطاء.

خامساً: الأبعاد النفسية والاجتماعية للإعلام الشعوذي

1. التأثير النفسي: الإعلام يرسخ لدى المشاهد أن مشاكله لا تُحل إلا عبر هذه القنوات، مما يجعله أسيراً للإيحاء المستمر.
2. تعزيز الجهل: بدلاً من تعزيز التفكير العلمي، يكرّس الإعلام عقلية الاتكال على الغيب والطلاسم.
3. تفكيك الأسرة: كثير من الخلافات الزوجية والاجتماعية تتفاقم بسبب تصديق أحد الأطراف لبرامج أو نصائح دجالين.
4. التبعية الاقتصادية: استنزاف أموال الأفراد والأسر في اتصالات مدفوعة أو خدمات وهمية، مما يزيد من معدلات الفقر.

سادساً: القوانين وموقف المؤسسات الرسمية

رغم انتشار هذه الظاهرة، فإن بعض الدول العربية والإفريقية بدأت تتحرك لمواجهتها:

- في السودان، صدرت قوانين تُجرّم الشعوذة والإعلان عنها، لكن تطبيقها بقي ضعيفاً بسبب النفوذ الاجتماعي للمشعوذين.
- في السعودية، أنشئت "هيئة مكافحة السحر والشعوذة" لملاحقة هذه الممارسات [2].
- في مصر، حذرت دار الإفتاء من القنوات والمواقع التي تروج لجلب الحبيب وفك المربوط، مؤكدة أن هذا من الكبائر [3].

سابعاً: شهادات واقعية

- تقارير إعلامية في السودان كشفت أن بعض العائلات أنفقت آلاف الجنيهات على قنوات "جلب الحبيب"، دون أن تحقق أي نتيجة، بل انتهى الأمر بمشاكل أسرية أعمق [4].
- في المغرب، وثّقت صحف محلية قصصاً لضحايا دفعوا أموالاً لمشعوذين عبر الإنترنت، وانتهى بهم الأمر إلى الابتزاز الجنسي والمالي.
- دراسات حديثة أظهرت أن نسبة كبيرة من الشباب الذين يستخدمون وسائل التواصل يقعون فريسة لهذه الصفحات، خصوصاً في القضايا العاطفية.

الإعلام، التقليدي منه والرقمي، حوّل الشعوذة من ممارسة محلية محدودة إلى صناعة عابرة للحدود. قنوات "جلب الحبيب"، إعلانات الصحف، مواقع الإنترنت، وتطبيقات الهواتف الذكية كلها أدوات جديدة للدجل، تستغل الضعف النفسي والاجتماعي والاقتصادي للناس. إن مواجهة هذا الخطر تتطلب ثلاثية متكاملة: قوانين صارمة تجرّم الممارسات، توعية دينية وعلمية تفكك الخرافة، وإعلام بديل مسؤول يقدم حلولاً حقيقية لمشاكل الناس. بدون هذه الخطوات، ستبقى الشعوذة قادرة على إعادة إنتاج نفسها في ثوب جديد مع كل تطور تكنولوجي.

المراجع

- [1] سودان اندبندنت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- [2] الجزيرة نت. "السعودية تنشئ هيئة لمكافحة السحر والشعوذة". 14 مايو 2012.
- [3] دار الإفتاء المصرية. "فتوى حول حكم قنوات جلب الحبيب وفك المربوط". القاهرة: الأمانة العامة للفتوى، 2018.
- [4] الطيب، محمد الطيب. المعتقدات الشعبية والعلاقات الاجتماعية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 1998.
- [5] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.

الفصل الرابع عشر: الاقتصاد الأسود للشعوذة – تجارة الأوهام

تمهيد

لا يُنظر إلى الشعوذة في كثير من المجتمعات بوصفها مجرد ممارسة هامشية أو نشاط بدائي قائم على الخرافة، بل إنها تحولت إلى اقتصاد خفي ضخم يُدرّ ملايين الدولارات سنوياً. هذا الاقتصاد الأسود لا يعتمد على بنية رسمية كالأسواق المرخصة أو المؤسسات التجارية، وإنما يقوم على شبكات غير مرئية من المشعوذين، الوسطاء، وأحياناً جهات نافذة تغضّ الطرف أو تشارك في الربح. إنّ تجارة الأوهام التي تنتجها الشعوذة هي من أخطر أشكال الاستغلال الاجتماعي، لأنها تستنزف موارد الأفراد والأسر، وتكرّس ثقافة الاتكال على الغيب بدلاً من مواجهة الواقع بالعلم والعمل.

أولاً: ملامح الاقتصاد الأسود للشعوذة

1. غياب الإحصاءات الرسمية

لأن الشعوذة نشاط غير قانوني أو شبه قانوني، فإنها لا تدخل ضمن الإحصاءات الرسمية لاقتصاد الدول. ومع ذلك، تشير بعض الدراسات الميدانية إلى أن الأموال المنفقة على الشعوذة في السودان مثلاً تفوق ما يُنفق على الرعاية الصحية الأولية في بعض المناطق [1].

2. شبكة من الوسطاء

المشعوذ لا يعمل بمفرده، بل يحيط به عدد من الوسطاء، مثل:

- الوسطاء الإعلاميون: من يروجون له عبر القنوات أو صفحات التواصل.
- المساعدون: الذين يقومون بإعداد "الأعمال" أو جلب الزبائن.
- المحميون: وهم أحياناً أشخاص متنفذون يوفّرون الغطاء الأمني مقابل نسبة من الأرباح.
-

3. تعدد مصادر الدخل

- بيع الطلاسم والأحجية.
- جلسات العلاج المزعومة.
- المكالمات الهاتفية عبر الخطوط المدفوعة.
- الاشتراكات في مجموعات مغلقة على الإنترنت.
- التبرعات أو الهدايا التي تُدفع "كرامات" للمشعوذ.

ثانيًا: الفئات الأكثر استهدافًا

1. النساء

تشير تقارير اجتماعية إلى أن النساء يشكلن النسبة الأكبر من زبائن المشعوذين، خصوصًا في قضايا الزواج والإنجاب والعلاقات الزوجية [2].

2. الشباب

الباحثون عن فرص عمل أو الهاربون من البطالة يتجهون إلى الشعوذة أملًا في "فتح النصيب" أو "جلب الرزق".

3. الأثرياء ورجال الأعمال

المفارقة أن الشعوذة لا تستهدف الفقراء وحدهم، بل تُغري الأغنياء أيضًا عبر وعود بالحماية من المنافسين أو ضمان النجاح في الصفقات التجارية.

ثالثًا: أساليب تضخيم السوق

1. استغلال الإعلام

الإعلانات في الصحف أو على القنوات الفضائية تُظهر المشعوذ كخبير معتمد، مما يمنحه شرعية زائفة.

2. استخدام التكنولوجيا

اليوم، يمكن شراء الطلاس أو الحصول على "جلسة روحانية" عبر تطبيق في الهاتف المحمول، ما جعل السوق أكبر وأكثر تنظيمًا.

3. الخلط بين الدين والدجل

إضافة آيات قرآنية أو أحاديث نبوية إلى الطلاس يمنحها "شرعية" وهمية تُسهل عملية البيع والشراء.

رابعًا: حجم الخسائر الاجتماعية والاقتصادية

1. الاستنزاف المالي

في بعض الأحياء الفقيرة بالخرطوم وأسمرة، تُنفق الأسر مبالغ كبيرة على الشعوذة قد تكفي لتعليم أبنائها أو علاجهم.

2. تأخير التنمية

عندما تتحول الأموال من الاستثمار في التعليم والصحة إلى "شراء الوهم"، يتراجع المجتمع اقتصاديًا ويظل رهينة الخرافة.

3. تعزيز الفقر

الشعوذة لا تُنتج قيمة مضافة، بل تسرق الأموال من المحتاجين وتحولها إلى جيوب المشعوذين، مما يعمّق الفجوة الاقتصادية بين من يستغل ومن يُستغل.

خامسًا: الأمثلة والشهادات

- في تقرير عن المغرب، أشارت صحف محلية إلى أن حجم الإنفاق على "العلاج الروحاني" يُقدر بملايين الدولارات سنويًا [3].
- في السودان، أظهر بحث ميداني أن بعض القرى الصغيرة تضم أكثر من 20 مشعوذًا، يدرّ كل منهم ما يقارب 500 دولار شهريًا من الزبائن، وهو مبلغ ضخم في بيئة فقيرة [4].
- في نيجيريا، ارتبطت الشعوذة بما يُعرف بـ"جرائم اليهويوهو"، حيث يتم استغلال السحر كوسيلة لابتزاز الأموال وتبييضها [5].

سادسًا: الحلول الممكنة لمواجهة الاقتصاد الأسود للشعوذة

1. التشريعات

سن قوانين واضحة تُجرّم التعاملات المالية المتعلقة بالشعوذة، وملاحقة الوسطاء والمعلنين.

2. الرقابة الإعلامية

منع الإعلانات والبرامج التي تروج للشعوذة، ووضع عقوبات على القنوات أو الصحف المخالفة.

3. البدائل الاقتصادية

توفير فرص عمل للشباب والفقراء لتقليل احتمالية وقوعهم ضحايا لهذه التجارة.

4. التوعية المجتمعية

نشر الوعي بخطورة الإنفاق على الوهم، عبر المدارس، المساجد، والكنائس.

الخاتمة

إن الاقتصاد الأسود للشعوذة ليس مجرد نشاط هامشي، بل هو شبكة منظمة تقوم على استغلال الفقر والجهل والخوف. هذه التجارة المظلمة تنمو كلما ضعفت المؤسسات الرسمية وفقد الناس الثقة بالحلول العلمية والشرعية. إن التصدي لها يتطلب تعاوناً بين المؤسسات الدينية، الإعلامية، والقانونية، مع توفير بدائل اقتصادية واجتماعية تردم الفجوة التي يتسلل منها المشعوذون. إن القضاء على "تجارة الأوهام" هو شرط أساسي لتحقيق التنمية الحقيقية وبناء مجتمعات محصنة من الاستغلال.

المراجع

- [1] الطيب، محمد الطيب. المعتقدات الشعبية والعلاقات الاجتماعية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 1998.
- [2] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.
- [3] [العربي الجديد]. "اقتصاد الشعوذة في المغرب.. ملايين الدولارات سنوياً". 12 أبريل 2019.
- [4] سودان اندبندنت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- [5] Ellis, Stephen. The Criminalization of the State in Africa. London: James Currey, 1996.

الفصل الخامس عشر: القانون والتشريع – بين التجريم والقصور

تمهيد

منذ قرون طويلة، ارتبطت ممارسة السحر والشعوذة بالمحرمات الدينية والممنوعات الاجتماعية، لكن تعامل القانون مع هذه الظاهرة ظل متذبذباً بين التجريم الصارم في بعض الدول والتجاهل أو التساهل في دول أخرى. وتبرز هنا إشكالية مزدوجة: من جهة، خطورة الشعوذة كسلوك يستنزف أموال الناس ويؤدي إلى تفكك اجتماعي ونفسي؛ ومن جهة أخرى، صعوبة إثبات الجريمة في المحاكم بسبب طبيعتها الغيبية والسرية. هذه الإشكالية تجعل القانون يقف في منطقة رمادية "بين التجريم والقصور"، فلا هو قادر على استئصال الظاهرة بالكامل، ولا يستطيع تركها دون مواجهة.

أولاً: التشريعات التاريخية

1. في العالم الإسلامي الكلاسيكي

- الفقه الإسلامي: أجمع العلماء على تحريم السحر واعتباره من الكبائر. بعض المذاهب، مثل الحنابلة، ذهبوا إلى القول بقتل الساحر حداً، بينما رأى آخرون أنه يُستتاب ويُعزر. لكن رغم هذا التحريم، لم تُنشأ مؤسسات قضائية متخصصة لملاحقة السحرة، بل كان الأمر يخضع لاجتهاد القضاة والحكام [1].

- الحسبة: في بعض العصور الإسلامية، تدخل المحتسب (المسؤول عن مراقبة الأسواق والسلوك العام) لملاحقة المشعوذين في الأسواق، لكن دوره كان محدوداً.

2. في إفريقيا التقليدية

في المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء، ومنها إثيوبيا والسودان، كان السحر يُعتبر جريمة اجتماعية خطيرة. بعض القبائل أقامت محاكم عرفية لمحاكمة السحرة، تصل عقوباتها أحياناً إلى النفي أو القتل [2].

ثانياً: القوانين الحديثة في العالم العربي والإفريقي

1. السودان

- يجرم القانون السوداني الشعوذة والدجل باعتبارها صورة من صور الاحتيال، لكن العقوبات غالباً لا تتجاوز الغرامات أو الحبس القصير [3].
- المشكلة الكبرى تكمن في ضعف التنفيذ، حيث يتمتع المشعوذون بنفوذ اجتماعي يجعل الشرطة تتردد في ملاحقتهم.

2. إريتريا وإثيوبيا

- في إريتريا، رغم الطابع الديني المحافظ، لا توجد نصوص قانونية صريحة تُعالج الشعوذة كجريمة مستقلة، بل يُلجأ إلى تكييفها كاحتيال أو خداع.
- في إثيوبيا، نص القانون الجنائي (المادة 409) على معاقبة مَنْ يزعم امتلاك قوى سحرية إذا استغلها للإضرار بالآخرين. ومع ذلك، غالبًا ما تُترك هذه القضايا دون متابعة بسبب ازدحام المحاكم بقضايا أخرى [4].

3. مصر والمغرب

- في مصر، حذرت دار الإفتاء من خطورة السحر، لكن القانون لا يملك نصوصًا واضحة لتجريمه إلا إذا ارتبط بالنصب. وقد عُرضت قضايا عديدة على المحاكم تتعلق بقنوات "جلب الحبيب"، وغالبًا ما انتهت بتهم احتيال لا بسحر.
- في المغرب، أثّرت ضجة حول "الرقية الشرعية" وارتباط بعض الرقاة بالشعوذة، لكن القانون اكتفى بوصفها "ممارسات غير مرخصة"، دون إطار شامل يجرمها [5].

4. الخليج العربي

- في السعودية، أنشئت هيئة خاصة لمكافحة السحر والشعوذة، وصدرت أحكام بالإعدام ضد بعض المتهمين، خصوصًا إذا اقترنت أعمالهم بأذى جسيم [6].
- في الإمارات وقطر، يُعتبر السحر جريمة جنائية واضحة، وتصل العقوبات إلى السجن المشدد أو الغرامات الكبيرة.

ثالثًا: التحديات التي تواجه التجريم

1. صعوبة الإثبات

كيف يمكن للمحكمة أن تثبت أن فلانًا عقد سحرًا تسبب في مرض أو وفاة؟ هذا التحدي يجعل معظم القضايا تُسقط في مرحلة التحقيق.

2. التداخل مع الممارسات الدينية

كثير من المشعوذين يخلطون بين الرقية الشرعية والسحر، ما يجعل التمييز بين المباح والممنوع أمرًا شائكًا، خاصة أمام القاضي غير المتخصص.

3. النفوذ الاجتماعي للمشعوذين

في القرى والأحياء الشعبية، يتمتع بعض المشعوذين بمكانة اجتماعية تجعل الناس يحمونهم من الملاحقة، بل وقد يُعتبر أي تدخل قانوني "عداءً للتقاليد".

4. التحول الرقمي

مع انتقال الشعوذة إلى الإنترنت، أصبحت الملاحقة أكثر صعوبة، إذ قد يُمارس المشعوذ نشاطه من بلد آخر خارج نطاق القوانين المحلية.

رابعاً: آثار قصور التشريع

1. استمرار الظاهرة: غياب الردع القانوني يشجع على مزيد من الانتشار.
2. فقدان الثقة في الدولة: عندما يرى الناس أن القانون عاجز عن حمايتهم من الشعوذة، يلجأون بأنفسهم إلى الرقاة أو المشعوذين.
3. استغلال اقتصادي: المشعوذون يستفيدون من ثغرات القانون لجني أرباح طائلة دون محاسبة.
4. إضعاف الوعي المجتمعي: ضعف موقف الدولة يضيفي شرعية ضمنية على الظاهرة.

خامساً: مقترحات لتطوير القانون

1. سن تشريعات واضحة: تُعرّف الشعوذة والسحر بشكل محدد، وتفصل بين الرقية الشرعية والممارسات المحرمة.
2. تخصيص محاكم أو دوائر خاصة: تُمكن من التعامل مع قضايا الشعوذة بحرفية، مع خبراء دينيين ونفسيين.
3. ملاحقة الشعوذة الإلكترونية: عبر التعاون الدولي لملاحقة المواقع والتطبيقات التي تروج لها.
4. تعزيز التوعية القانونية: عبر الإعلام والمدارس، ليعرف الناس حقوقهم وكيفية الإبلاغ عن المشعوذين.
5. إدماج العلاج النفسي والاجتماعي: باعتباره وسيلة لتقليل الطلب على خدمات الشعوذة.

القانون، رغم محاولاته المتعددة، لا يزال يعاني قصورًا واضحًا في مواجهة الشعوذة، سواء في السودان وإريتريا وإثيوبيا أو في العالم العربي عمومًا. وبينما تتشدد بعض الدول كالسعودية والإمارات، تظل أغلب التشريعات الأخرى أسيرة الغموض والضعف في التنفيذ. إن مواجهة هذه الظاهرة تتطلب إطارًا قانونيًا حديثًا يجمع بين الردع الصارم والتوعية الوقائية، مع تعاون إقليمي ودولي لمكافحة "الشعوذة الإلكترونية" التي باتت العدو الأخطر في عصرنا الرقمي.

المراجع

- [1] ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. الرياض: مكتبة المعارف، 1995.
- [2] Evans-Pritchard, E.E. Witchcraft, Oracles and Magic among the Azande. Oxford: Clarendon Press, 1937.
- [3] [سودان اندبندنت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- [4] Hassen, Mohammed. The Oromo and the Horn of Africa: A Historical-Anthropological Study. Addis Ababa: Addis Ababa University Press, 2010.
- [5] [العربي الجديد. "المغرب بين الرقبة الشرعية والشعوذة: جدل اجتماعي وديني". 20 يناير 2018.
- [6] الجزيرة نت. "السعودية تنشئ هيئة لمكافحة السحر والشعوذة". 14 مايو 2012.

الفصل السادس عشر: التجارب العالمية – كيف واجهت دول أخرى الشعوذة؟

تمهيد

تُعتبر ظاهرة الشعوذة والسحر من أقدم الممارسات التي عرفها الإنسان، وهي ليست حكرًا على المجتمعات الإفريقية أو العربية فقط، بل انتشرت في أوروبا، آسيا، والأمريكتين منذ قرون طويلة. وقد واجهت الدول هذه الظاهرة بطرق مختلفة تبعًا للظروف الدينية والثقافية والسياسية السائدة. بعض الدول لجأت إلى العقوبات الصارمة والقتل، فيما فضّلت أخرى الاعتماد على التوعية والتعليم لتفكيك الخرافات، بينما اختارت دول حديثة الجمع بين الرقابة القانونية والبحث العلمي. إن دراسة هذه التجارب العالمية تفتح بابًا لفهم أعمق لآليات المواجهة وتُتيح للدول العربية والإفريقية الاستفادة من خبرات الآخرين في التعامل مع هذا التحدي.

أولًا: التجربة الأوروبية

1. العصور الوسطى ومحاكم التفتيش

في أوروبا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، كانت الشعوذة تُربط بالهرطقة وعبادة الشيطان. أُقيمت محاكم خاصة عُرفت بـ "محاكم التفتيش"، حيث أُحرقت آلاف النساء والرجال بتهمة ممارسة السحر. أبرز كتاب في هذا السياق كان *Malleus Maleficarum* (مطرقة الساحرات)، الذي صدر عام 1486، وأصبح مرجعًا للمحققين في ملاحقة السحرة [1].

2. التحول مع عصر النهضة

مع تطور الفكر العلمي في القرن السابع عشر، بدأت النظرة إلى السحر تتغير. لم يعد يُنظر إليه كحقيقة مطلقة، بل كخرافة أو جهل. بريطانيا ألغت قوانين إعدام السحرة سنة 1736، واستبدلتها بعقوبات ضد من يدّعي امتلاك قوى خارقة أو يمارس الاحتيال [2].

3. أوروبا الحديثة

اليوم، معظم الدول الأوروبية لا تعتبر السحر جريمة مستقلة، بل تُحاكمه تحت قوانين الاحتيال أو استغلال الآخرين. في فرنسا وألمانيا، يُعاقب "المعالجون الروحانيون" إذا تسببوا بأضرار صحية أو مالية للزبائن، لكن ممارسات الشعوذة البسيطة التي لا تضر مباشرة تُترك دون عقاب قانوني.

ثانيًا: التجربة الأمريكية

1. محاكمات سالم الشهيرة

في القرن السابع عشر، شهدت مستعمرة ماساتشوستس الأمريكية محاكمات سالم (1692)، حيث أُعدم عشرات الأشخاص بتهمة ممارسة السحر. هذه الأحداث أصبحت لاحقًا رمزًا للتحذير من الهلع الجماعي وغياب الأدلة العلمية [3].

2. الولايات المتحدة الحديثة

اليوم، لا توجد قوانين ضد السحر بحد ذاته، لكن يُجرّم القانون أي ممارسة تندرج تحت "الاحتفال". بعض الولايات، مثل نيويورك وكاليفورنيا، تفرض رقابة على من يقدم خدمات روحانية أو علاجية غير مرخصة. كما أنشئت جمعيات لمراقبة "النصابين الروحانيين" لحماية المستهلك.

3. أمريكا اللاتينية

في المكسيك والبرازيل، لا يزال السحر (خصوصًا "السانتيريا" و"الكاندومبليه") حاضرًا بقوة، لكن الحكومات تسعى لاحتوائه عبر الدمج بين الاعتراف الثقافي به وتقبيد الممارسات التي تضر بالناس، مثل الابتزاز أو استغلال المرضى.

ثالثًا: التجربة الإفريقية

1. نيجيريا وتنزانيا

في نيجيريا، ما زالت الشعوذة مرتبطة بالجرائم *ritual killings*، حيث يتم استغلال الأعضاء البشرية في "الأعمال". الحكومة جرّمت هذه الأفعال بشدة، لكن ضعف تطبيق القانون جعلها مستمرة [4]. أما في تنزانيا، فقد ارتبطت الشعوذة بمأساة ذوي البشرة البيضاء (الألبينو)، حيث تعرض كثيرون للقتل من أجل "استخدام أعضائهم" في أعمال سحرية. استجابت الحكومة بحملات توعية وإجراءات أمنية مشددة، لكنها ما زالت ظاهرة قائمة [5].

2. جنوب إفريقيا

في جنوب إفريقيا، أقرّ "قانون الممارسات السحرية" سنة 1957، لكنه عُدّل لاحقًا عام 2007 ليصبح "قانون الجرائم المتعلقة بالشعوذة"، حيث يتم التركيز على معاقبة الجرائم المرتبطة بالسحر (كالقتل أو الاحتفال) لا مجرد الاعتقاد به.

رابعاً: التجربة الآسيوية

1. الهند

في بعض الولايات الهندية، مثل مهاراشترا، صدر "قانون مكافحة السحر والشعوذة" عام 2013 بعد سلسلة من الجرائم التي ارتكبتها دجالون بحق النساء والأطفال. ينص القانون على معاقبة أي شخص يدّعي امتلاك قوى خارقة أو يستغل الناس تحت هذا الغطاء [6].

2. الصين

في الصين القديمة، كان السحر يُعتبر تهديداً للإمبراطور وللدولة، وكانت العقوبات تصل إلى الإعدام. أما اليوم، فإن الحكومة الصينية تحظر أي ممارسات تُصنف "خرافية"، وتدمج سياسات مكافحة الشعوذة ضمن برامج التوعية العلمية.

3. العالم العربي والإسلامي الآسيوي

في دول مثل إندونيسيا وماليزيا، حيث الثقافة الإسلامية قوية، صدرت قوانين محلية لتجريم الشعوذة. في ماليزيا، تصل العقوبة إلى السجن والغرامات الكبيرة، خاصة إذا ارتبطت الممارسة بابتزاز مالي أو أضرار صحية.

خامساً: الدروس المستفادة

1. الردع القانوني الصارم: التجارب الأوروبية في العصور الوسطى أظهرت أن الردع العنيف يؤدي إلى الهلع الجماعي، لكنه لا يقضي على الظاهرة. أما القوانين الحديثة التي تُركز على الاحتيايل والضرر فهي أكثر واقعية.
2. التوعية والتعليم: الدول التي اعتمدت التعليم والتثقيف العلمي (مثل الصين والهند) نجحت في تقليل الشعوذة أكثر من الدول التي اعتمدت العقاب وحده.
3. المراقبة التكنولوجية: مع انتقال الشعوذة إلى الإنترنت، أصبح من الضروري سن تشريعات عابرة للحدود لملاحقة مواقع الشعوذة الإلكترونية.
4. البعد الثقافي: بعض الدول (مثل البرازيل والمكسيك) دمجت الممارسات الشعبية في إطار ثقافي لتقليل خطرهما، بدلاً من محاربتها بشكل كامل.

إن مواجهة الشعوذة ليست معركة دينية أو قانونية فقط، بل هي قضية متعددة الأبعاد تشمل الثقافة، التعليم، الاقتصاد، والإعلام. التجارب العالمية تُظهر أن الحل الأكثر فعالية يكمن في الدمج بين القوانين الرادعة، التوعية العلمية، والدعم النفسي والاجتماعي للمجتمع. وإذا أرادت المجتمعات السودانية والإريتريّة والعربية الحد من انتشار الشعوذة، فعليها أن تستفيد من هذه التجارب وتُعيد صياغة استراتيجياتها وفقًا لخصوصيتها الدينية والاجتماعية، مع الانفتاح على الخبرات العالمية.

المراجع

- [1] Kramer, Heinrich, and Jacob Sprenger. *Malleus Maleficarum*. Germany, 1486.
- [2] Thomas, Keith. *Religion and the Decline of Magic*. London: Penguin, 1991.
- [3] Karlsen, Carol. *The Devil in the Shape of a Woman: Witchcraft in Colonial New England*. New York: Vintage, 1998.
- [4] Ellis, Stephen. *The Criminalization of the State in Africa*. London: James Currey, 1996.
- [5] Amnesty International. *In the Shadows of the Sun: The Plight of Albinos in Africa*. London: Amnesty International, 2010.
- [6] Nanda, Meera. *The God Market: How Globalization is Making India More Hindu*. New York: Monthly Review Press, 2009.

الفصل السابع عشر: الوقاية الدينية – الإيمان كحصن ضد السحر

تمهيد

منذ القدم، ظلّ الإيمان بالله والتمسك بتعاليمه درعاً حصيناً يحمي الإنسان من الخوف والقلق والاعتقاد بالخرافات. وفي مواجهة ظاهرة السحر والشعوذة، يبرز البعد الديني كأحد أهم محاور الوقاية والعلاج، لأنه يزرع في قلب الإنسان اليقين بأن الضرر والنفع بيد الله وحده، وأن المشعوذين والسحرة لا يملكون لأنفسهم أو لغيرهم شيئاً إلا بإذن الله. فالإيمان الصادق لا يحصّن الفرد من الوقوع في براثن الشعوذة فحسب، بل يُعزز المناعة الروحية والنفسية والاجتماعية للمجتمع بأسره.

أولاً: الأسس القرآنية للوقاية من السحر

1. الإيمان بالقدر

قال الله تعالى: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» (التوبة: 51). هذه الآية تُرسخ قاعدة أساسية، وهي أن الإنسان لا يُصيبه شرٌّ أو خير إلا بمشيئة الله، ما يُبطل خوفه من سحر أو طلاس.

2. التحصين بالقرآن الكريم

- سورة البقرة: ورد في الحديث أن الشيطان يفرّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة. وقد أوصى العلماء بقراءتها بانتظام باعتبارها مانعاً قوياً ضد السحر.
- المعوذتان: قوله تعالى: «ومن شر النفاثات في العقد» (الفلق: 4)، دليل مباشر على ارتباط السحر بالعقد والطلاسم، والحل في الاستعاذة بالله عبر تلاوة المعوذتين.
- آية الكرسي: تُعتبر من أعظم آيات الحفظ والتحصين، وقد نصّت الأحاديث على أنها تحفظ من الشياطين حتى يصبح القارئ في مأمن من الأذى.

3. الذكر والدعاء

الأذكار اليومية مثل أذكار الصباح والمساء، وأدعية الحفظ مثل: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»، تُعدّ بمثابة حصون منيعة تمنح المؤمن الطمأنينة.

ثانياً: دور السنة النبوية في بناء الحصانة الروحية

1. الرقية الشرعية

النبي ﷺ استخدم الرقية الشرعية لنفسه وأهله وأصحابه، وأمر بقراءتها بآيات محددة دون اللجوء إلى طلاس أو عبارات مجهولة. ومن أبرز ما ورد: الفاتحة، وآية الكرسي، والمعوذتان.

2. النهي عن الكهانة والعرافة

قال النبي ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد» (رواه أحمد). هذا الحديث يؤكد أن مجرد تصديق المشعوذ تقويض للإيمان.

3. التوكل على الله

ورد عنه ﷺ قوله: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير» (رواه الترمذي). التوكل يُعدّ من أقوى الأسلحة ضد الشعوذة، لأنه يقطع الطريق على أي إغراء بالاعتماد على غير الله.

ثالثاً: البعد النفسي للإيمان

1. كسر دائرة الخوف

الشعوذة غالباً ما تقوم على إخافة الناس وإيهامهم بقدرات خارقة. الإيمان يحرر النفس من هذا الخوف ويمنحها يقيناً بأن الله هو الحامي.

2. تعزيز الصمود النفسي

المؤمن الملتزم بالذكر والعبادة يكتسب قوة داخلية تجعله قادراً على مواجهة الأزمات دون اللجوء إلى السحر.

3. علاج الوسواس

كثير من الضحايا يدخلون في دائرة وسواسية يربطون فيها كل مرض أو فشل بالسحر. التربية الإيمانية تُعيد التوازن النفسي وتضع الأمور في نصابها.

رابعاً: دور المؤسسات الدينية

1. المساجد

المساجد تمثل منابر للتوعية ضد الشعوذة، عبر خطب الجمعة والدروس الدينية التي تُبرز النصوص الشرعية المحرمة للسحر.

2. العلماء والفقهاء

دور العلماء يتمثل في التفريق بين الرقية الشرعية والسحر المحرم، وإصدار الفتاوى الواضحة التي تحذر من التعامل مع المشعوذين.

3. الحلقات القرآنية

التحفيظ وتعليم الأطفال الأذكار والآيات التي تحصّنهم منذ الصغر، يمثل استثماراً طويلاً الأمد في تحصين المجتمع.

خامساً: الوقاية الدينية في الموروث الشعبي

1. الأذكار الجماعية

في المجتمعات

السودانية والإريتريّة، كان الناس يجتمعون لتلاوة القرآن جماعة في البيوت أو القرى، باعتبار ذلك وسيلة لحماية المكان من السحر.

2. التبرك المشروع مقابل البدع

البعض يخلط بين التبرك بالأذكار الشرعية واللجوء إلى الطلاسّم. وهنا يأتي دور التوعية لتوضيح أن التبرك المشروع يكون بما ورد عن النبي ﷺ فقط.

3. مواجهة البدائل المنحرفة

أحياناً يتخفى المشعوذ في صورة "راقي"، فيخلط بين القرآن وطلاسّم مجهولة. الإيمان الصحيح والوعي يحولان دون الانخداع بهذه الممارسات.

سادساً: نحو إستراتيجية وقائية شاملة

1. تعليم ديني مبكر: إدخال نصوص التحصين في المناهج الدراسية وربطها بالقيم الإيمانية.
2. برامج إعلامية: إنتاج برامج تبين كيف يُحصّن المسلم نفسه بالقرآن والسنة بعيداً عن الدجل.
3. مراكز استشارات شرعية ونفسية: توفير بديل عملي للناس بدلاً من اللجوء إلى المشعوذين.
4. إحياء ثقافة التوكل: عبر حملات دينية تربط النجاح والفشل بالعمل والقدر لا بالخرافة.

الخاتمة

الإيمان بالله هو السلاح الأقوى ضد الشعوذة والسحر، لأنه يغرس في النفس يقيناً لا يتزعزع بأن الضرر والنفع بيد الله وحده. التحصين بالقرآن، المواظبة على الأذكار، والتمسك بالسنة، كلها وسائل عملية لتجفيف منابع الشعوذة. وعلى المجتمع أن يُعيد الاعتبار لهذا البعد الديني باعتباره الدرع الأول في مواجهة هذه الظاهرة. فالمؤمن المحصّن هو لبنة في بناء مجتمع قوي، لا تهزه الأوهام ولا تسيطر عليه الطلاسّم.

- [1] القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 51.
- [2] القرآن الكريم، سورة الفلق، الآية 4.
- [3] البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. بيروت: دار ابن كثير، 2002.
- [4] مسلم، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1991.
- [5] القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964.
- [6] ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. الرياض: مكتبة المعارف، 1995.

الفصل الثامن عشر: الوقاية الاجتماعية والثقافية – الوعي النقدي والتحسين المجتمعي

تمهيد

إذا كان الإيمان والتمسك بالتعاليم الدينية يمثلان خط الدفاع الأول ضد الشعوذة، فإن الوقاية الاجتماعية والثقافية تشكّل الدرع الجماعي الذي يحمي المجتمع بأسره من الوقوع في فخ الدجل والأوهام. فالشعوذة ليست مجرد ممارسة فردية، بل هي نتاج بيئة اجتماعية تُكرّس الخرافة وتمنح المشعوذين مكانة ونفوذًا. لذلك، فإن تعزيز الوعي النقدي وبناء حصانة ثقافية جماعية يصبح ضرورة ملحة لضمان تفكيك جذور الظاهرة وتحويل المجتمع من بيئة حاضنة للخرافة إلى فضاء يتبنى العقلانية والعلم.

أولاً: الوعي النقدي كسلاح ضد الخرافة

1. تعزيز التفكير العلمي

الوعي النقدي يعني القدرة على التمييز بين ما هو عقلائي وما هو زائف. هذا لا يتحقق إلا من خلال تعليم يرسخ أسس المنهج العلمي ويشجع على التساؤل والتحليل. فحين يُعلّم الأطفال والطلاب تفسير الظواهر الصحية والنفسية والاجتماعية بأسبابها الواقعية، يصبح من الصعب خداعهم بوعود السحرة.

2. كشف أساليب الدجالين

جزء أساسي من الوعي النقدي هو فضح الحيل التي يستخدمها المشعوذون، مثل قراءة ملامح الوجه، استدراج الاعترافات، أو استخدام الطلاسم والرموز لإيهام الناس. حملات التوعية التي تشرح هذه الأساليب تسلب الدجالين سلاحهم الأساسي: الجهل.

3. دور الإعلام التوعوي

الإعلام مسؤول عن إنتاج محتوى بديل يُفكك الشعوذة، لا عن ترويجها. البرامج الوثائقية والدرامية التي تكشف فساد هذه الممارسات تخلق وعياً جماعياً مضاداً، وتُعِد تشكيل الخيال الشعبي نحو قيم العلم والتفكير السليم.

ثانياً: التحسين المجتمعي

1. الأسرة كخط الدفاع الأول

الأسرة مسؤولة عن زرع قيم الثقة بالنفس والتوكل على الله في الأبناء. الطفل الذي يتربى على أن مشاكله تُحل بالحوار والعلم لن ينشأ باحثاً عن الحلول في الطلاسم. كما أن مراقبة سلوك الأبناء وتوعيتهم بخطورة التعامل مع المشعوذين يمنع اختراق الأسرة من الداخل.

2. المدرسة والجامعة

المؤسسات التعليمية يجب أن تتحول إلى حواضن للوعي، لا مجرد أماكن لتلقين المعلومات. إدخال دروس عن التفكير النقدي، ومخاطر الدجل، وأهمية المنهج العلمي في مواجهة الخرافة، يُمثل استثماراً طويلاً الأمد في بناء حصانة مجتمعية.

3. المجتمع المدني

الجمعيات والمنظمات الأهلية يمكن أن تلعب دوراً حاسماً في مكافحة الشعوذة من خلال تنظيم ورش عمل، حملات توعية، ومبادرات شبابية تفضح الدجالين وتقدم بدائل علاجية ونفسية للأشخاص الذين يبحثون عن حلول لمشاكلهم.

ثالثاً: البعد الثقافي للشعوذة

1. التراث الشعبي بين الخرافة والحكمة

كثير من الموروثات الشعبية تحمل في طياتها خرافات مرتبطة بالشعوذة. لكن في المقابل، توجد عناصر إيجابية من التراث تعزز قيم التعاون والإيمان والتماسك الاجتماعي. المطلوب هو إعادة قراءة التراث بوعي نقدي: نحافظ على ما يعزز الهوية الإيجابية، ونتخلى عما يُغذي الشعوذة.

2. الأدب والفن كوسيلة مقاومة

الأدب، الشعر، والمسرح يمكن أن تتحول إلى أدوات قوية لتفكيك أو هام السحر. عرض قصص واقعية عن ضحايا الشعوذة، أو توظيف الكوميديا لفضح الدجالين، يُساهم في خلق وعي ثقافي مضاد.

3. الرموز الثقافية البديلة

في مواجهة الطلاسم والرموز الغامضة، يمكن أن يبتكر المجتمع رموزاً ثقافية إيجابية تُعزز قيم العلم والوعي. مثلاً: شعار "العقل هو الحصن" أو استخدام أيقونات تذكّر الناس بأهمية التعليم.

رابعاً: البعد الاجتماعي للشعوذة – من الجهل إلى الحاجة

1. الفقر كبيئة خصبة للخرافة

كثير من الناس يلجأون إلى المشعوذين لأنهم يفتقرون إلى الخدمات الطبية أو النفسية، أو لأنهم يعانون من البطالة واليأس. لذلك، فإن مواجهة الشعوذة لا تنفصل عن معالجة الفقر وتوفير بدائل اقتصادية كريمة.

2. الجهل وضعف التعليم

المجتمع الذي تغيب عنه الثقافة العلمية يصبح أرضاً خصبة لنمو الدجل. محو الأمية وتعزيز التعليم الأساسي يمثلان أحد أقوى أدوات الوقاية.

3. العزلة الاجتماعية

الأفراد المنعزلون نفسياً أو اجتماعياً أكثر عرضة للشعوذة. بناء شبكات دعم اجتماعي قوية (أندية، مراكز مجتمعية، مجموعات دعم) يُقلل من احتمالية استغلالهم.

خامساً: نحو إستراتيجية وقائية متكاملة

1. التعليم: إدماج الوعي النقدي في المناهج.
2. الإعلام: إنتاج برامج تُحارب الخرافة وتُبرز قصص النجاح المبنية على العلم والعمل.
3. القوانين: ملاحقة كل مَنْ يروج للدجل في المجتمع أو عبر الإنترنت.
4. المجتمع المدني: حملات توعية تركز على الشباب والنساء باعتبارهم الأكثر استهدافاً من المشعوذين.
5. البعد الاقتصادي: تحسين ظروف المعيشة وتقليل البطالة، حتى لا يلجأ الناس إلى الشعوذة كمهرب من ضغوط الحياة.

الخاتمة

إن الوقاية الاجتماعية والثقافية ضد الشعوذة تبدأ من تنمية الوعي النقدي لدى الفرد، لكنها لا تكتمل إلا بالتحصين الجماعي للمجتمع عبر التعليم، الإعلام، الأسرة، والثقافة. فالمجتمع الذي يملك أدوات التفكير السليم والبدائل الصحية والاجتماعية لن يترك مجالاً للدجالين ليمارسوا تجارتهم السوداء. إن مواجهة الشعوذة ليست مجرد حرب على الأوهام، بل هي معركة لبناء مجتمع عقلاني، متماسك، ومحصن ضد الاستغلال.

- [1] الطيب، محمد الطيب. المعتقدات الشعبية والعلاقات الاجتماعية في السودان. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 1998.
- [2] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.
- [3] Sudanese Independent . "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- [4] Thomas, Keith. Religion and the Decline of Magic. London: Penguin, 1991.
- [5] Nanda, Meera. The God Market: How Globalization is Making India More Hindu. New York: Monthly Review Press, 2009.

الفصل التاسع عشر: العلاج وفك الطلاسـم – الرقية الشرعية والطب النفسي

تمهيد

تُعد مرحلة العلاج من السحر والشعوذة من أكثر المراحل حساسية وتعقيداً، لأنها تتعلق بإنقاذ الإنسان من حالة نفسية وروحية واجتماعية متشابكة. فالسحر لا يُنظر إليه فقط كعمل غيبي، بل أيضاً كظاهرة نفسية واجتماعية تترك آثاراً عميقة على الصحة، سواء شعر بها جسدياً أو نفسياً. ولذا، فإن مقاربة العلاج تحتاج إلى رؤية شاملة تدمج بين الرقية الشرعية المستندة إلى القرآن والسنة، والعلاج النفسي الحديث القائم على الأسس العلمية، لتقديم حلول متكاملة تمنح الفرد الطمأنينة والإرادة للعودة إلى حياته الطبيعية.

أولاً: الرقية الشرعية كأداة لفك الطلاسـم

1. الأساس القرآني

الرقية الشرعية تعتمد على قراءة القرآن الكريم والأدعية النبوية المأثورة، دون إدخال طلاسـم أو عبارات مجهولة. ومن أبرز النصوص المستخدمة:

- الفاتحة: سماها العلماء "الشفاء"، وقد رُوي أن الصحابة استخدموها لعلاج اللدغ.
- آية الكرسي: للتحصين من الشياطين والأذى.
- المعوذتان: لرفع الشرور، وخاصة قوله تعالى: «ومن شر النفاثات في العقد» (الفلق: 4)، الذي يشير مباشرة إلى السحر المعقود.
-

2. شروط الرقية الصحيحة

- أن تكون بكلام الله أو الأدعية المأثورة.
- أن تؤدي ببلغة واضحة لا تحمل غموضاً.
- أن تُمارس باعتبارها دعاءً وتضرعاً، لا إيهاماً بقدره خارقة للراقي.
- أن تخلو من طلب المال المبالغ فيه أو الاستغلال.

3. كيفية الرقية

يقرأ الراقي الآيات على المريض مباشرة أو على ماء وزيت زيتون، ويُنفث فيهما، ثم يُستخدم للشرب أو المسح. كما يمكن للمريض نفسه أن يرقى نفسه بقراءة هذه الآيات.

4. إبطال الطلاسـم والعقد

إذا وُجدت الطلاسـم أو العقد، يقوم المتخصص بفكها وقراءتها بحذر، ثم إتلافها بالحرق أو الذوبان في الماء بعد القراءة، مع تكرار الاستعاذة بالله.

ثانيًا: الطب النفسي ودوره في العلاج

1. فهم الأبعاد النفسية للسحر

كثير من الأعراض المنسوبة للسحر (مثل الاكتئاب، القلق، الهلوس، اضطرابات النوم) يمكن تفسيرها علميًا كحالات نفسية أو عصبية. لكن لأن المجتمع يفسرها غالبًا كأعمال سحر، يصبح المريض في حاجة إلى علاج مزدوج: إيماني ونفسي.

2. العلاج النفسي الحديث

- العلاج السلوكي المعرفي (CBT): يساعد المريض على مواجهة الأفكار السلبية المرتبطة بالسحر، ويُعيد بناء الثقة بالنفس.
- العلاج الدوائي: في بعض الحالات، يوصف دواء للسيطرة على القلق أو الاكتئاب الحاد الناتج عن الاعتقاد بالسحر.
- العلاج الجماعي: جلسات الدعم الجماعي تساعد المريض على الشعور بأنه ليس وحده، وأن ما يمر به له تفسيرات وحلول علمية.

3. التكامل مع الرقية

الدمج بين الرقية الشرعية والعلاج النفسي يُمثل مقاربة متوازنة؛ فالرقية تُعطي طمأنينة روحية، والطب النفسي يُوفر أدوات عملية لمواجهة الأعراض. هذا التكامل يعزز ثقة المريض في العلاج ويُسهل تعافيه.

ثالثًا: البعد الاجتماعي في العلاج

1. دور الأسرة

الأسرة تمثل البيئة الأولى التي تحدد مصير العلاج. فبدلاً من دفع المريض نحو المزيد من الشعوذة، عليها دعمه بالرقية الشرعية والعرض على أطباء نفسيين مختصين.

2. دور المجتمع

حملات التوعية يجب أن تركز على أن السحر، حتى لو كان موجوداً، لا يُمكن أن يكون سبباً لكل مشكلة. هذه التوعية تُقلل من لجوء الناس إلى المشعوذين وتُشجعهم على طلب العلاج من مصادر موثوقة.

3. مواجهة الوصمة الاجتماعية

المرض النفسي يُعتبر عيباً في بعض الثقافات، ما يدفع المصابين إلى التستر خلف تهمة "السحر". معالجة هذه الوصمة أمر ضروري لتشجيع الناس على اللجوء للأطباء بدلاً من المشعوذين.

رابعاً: شهادات واقعية

- في دراسة ميدانية بالسودان، أقرّ أكثر من 40% من المشاركين أنهم لجأوا أولاً إلى "فكي" قبل الطبيب، بسبب اعتقادهم بأن مرضهم سحر [1].
- في مصر، وثّقت تقارير أن كثيراً من حالات الطلاق تُعزى إلى "سحر التفريق"، بينما التحليل النفسي كشف أن الأسباب كانت ضغوطاً اقتصادية ونفسية [2].
- في إريتريا، أشارت شهادات لاجئين إلى أن الجمع بين جلسات الرقية والدعم النفسي ساعد كثيرين على تجاوز آثار ما يعتقدونه سحراً [3].

خامساً: نحو إستراتيجية علاجية متكاملة

1. الرقية الصحيحة: توعية الناس بالفارق بين الرقية الشرعية والممارسات الدجلية.
2. الدمج الطبي: تشجيع التعاون بين الأطباء النفسيين والرقاة الشرعيين الثقافات.
3. مراكز علاجية متخصصة: إنشاء مراكز تجمع بين العلاج الروحي والدعم النفسي.
4. التنقيف المجتمعي: نشر الثقافة العلمية لتقليل الاعتقاد الأعمى بالسحر.
5. الإرشاد الأسري: تدريب الأسر على كيفية التعامل مع المريض نفسياً وروحياً.

الخاتمة

العلاج من السحر والشعوذة ليس مهمة دينية أو طبية فحسب، بل هو عملية شاملة تُعالج الجسد والروح والنفوس والمجتمع. فالرقية الشرعية توفر الطمأنينة والإيمان، بينما الطب النفسي يعالج الجذور النفسية للأعراض ويمنح المريض أدوات للتكيف. هذا التكامل هو الطريق الأمثل لإبطال مفعول الطلاس، وتحرير الإنسان من دائرة الخوف واليأس. إن بناء بيئة علاجية متوازنة سيجعل الشعوذة أقل تأثيراً، ويمنح الضحايا فرصة حقيقية للتعافي والعودة إلى الحياة بثقة وإيمان.

المراجع

- [1] سودان اندبندنت. "تفشي ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع السوداني.. ما هي الأسباب؟". 5 مارس 2019.
- [2] العربي الجديد. "الطلاق والسحر: خرافات تخفي وراءها مشكلات اجتماعية واقتصادية". 10 يونيو 2020.
- [3] Boddy, Janice. Wombs and Alien Spirits: Women, Men, and the Zar Cult in Northern Sudan. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.
- [4] [القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964.
- [5] Beck, Aaron T. Cognitive Therapy of Depression. New York: Guilford Press, 1979.

الفصل العشرون: الخاتمة – نحو استراتيجية شاملة لمواجهة الشعوذة

إن السحر والشعوذة، وعلى رأسها ما يُعرف بالسحر المعقود ومسح الأثر، لم تعد مجرد ممارسات هامشية أو بقايا من عصور الجهل، بل تحولت إلى ظاهرة اجتماعية واقتصادية وثقافية متجذرة في المجتمعات السودانية والإريتريّة والعربية والإفريقية. هذه الظاهرة لا تُهدد فقط استقرار الأفراد والأسر، بل تمثل عائقاً أمام التنمية الفكرية والعلمية، وتستنزف موارد المجتمع المادية والروحية. لذا فإن مواجهة الشعوذة تتطلب استراتيجية شاملة تتضافر فيها الجهود الدينية، والتعليمية، والاجتماعية، والنفسية، والقانونية، والسياسية.

أولاً: البعد الديني والإيماني

لا يمكن معالجة ظاهرة السحر والشعوذة دون العودة إلى الجذور الدينية الصحيحة التي تُحصّن الإنسان وتُقوي وعيه. النصوص الشرعية واضحة في تجريم السحر والتحذير منه باعتباره من الكبائر التي تهدم العقيدة. ولذلك:

- يجب أن تُعيد المؤسسات الدينية، من مساجد وجامعات ومعاهد، صياغة خطابها لمواجهة الشعوذة بشكل مباشر، وأن تبني وعياً جديداً يُبين أن اللجوء إلى السحر هو نوع من الشرك والضعف الروحي.
- نشر ثقافة التوكل على الله والرقية الشرعية الصحيحة كبديل شرعية وواقعية، بعيداً عن الغلو أو البدع.
- تشجيع العلماء والدعاة على تقديم برامج تثقيفية وإرشادية تصل إلى الأرياف والمدن، وتتناول الظاهرة بأسلوب واقعي مقنع.

ثانياً: البعد التعليمي والثقافي

العلم هو السلاح الأقوى في مواجهة الخرافة.

- إدماج مواد توعوية عن الشعوذة والسحر في المناهج المدرسية والجامعية، تشرح أبعادها التاريخية والنفسية والاجتماعية.
- تعزيز مهارات التفكير النقدي لدى الطلاب، ليكونوا قادرين على التمييز بين العلم والخرافة.
- دعم الإنتاج الثقافي (الكتب، الأفلام، المسرحيات) الذي يُفضح أساليب الدجالين ويُظهر خطرهم على المجتمع.

ثالثاً: البعد الاجتماعي والنفسي

الشعوذة تنتشر حيث يسود اليأس والاضطراب النفسي.

- فتح مراكز للإرشاد النفسي والاجتماعي بأسعار مناسبة للجميع، بحيث يجد الفرد بديلاً صحياً عن اللجوء إلى المشعوذين.

- تعزيز الروابط الأسرية والمجتمعية التي تقلل من شعور الفرد بالعزلة والخذلان، وهي أرض خصبة لانتشار الخرافة.
- تقديم دعم خاص للنساء والشباب، باعتبارهم الأكثر عرضة لاستغلال الدجالين نتيجة الضغوط النفسية والاجتماعية.

رابعاً: البعد القانوني والأمني

لا يمكن القضاء على الشعوذة ما لم تُترجم المواجهة إلى قوانين صارمة.

- وضع تشريعات واضحة تجرم الشعوذة وممارساتها بشكل صريح، وعدم الاكتفاء بتصنيفها تحت بند الاحتيال.
- تدريب الأجهزة الأمنية والقضائية على رصد هذه الممارسات والتحقيق فيها بجدية، خاصة في القرى والأحياء الشعبية حيث ينشط الدجالون.
- فتح قنوات آمنة للإبلاغ عن المشعوذين، وحماية المبلغين من أي تبعات اجتماعية أو انتقامية.

خامساً: البعد الاقتصادي والسياسي

الشعوذة جزء من اقتصاد أسود يدر الملايين ويستنزف أموال الفقراء واليائسين.

- يجب تجفيف منابع هذه التجارة عبر حملات رقابية، وملاحقة الإعلانات التي تروج لها سواء على القنوات الفضائية أو عبر الإنترنت.
- تشجيع التنمية الاقتصادية الحقيقية، إذ أن الفقر والبطالة هما بيئتان خصبتان لازدهار الشعوذة.
- إدماج هذا الملف في السياسات الوطنية لمكافحة الفساد، لأن الدجل غالباً ما يتغذى على ضعف مؤسسات الدولة.

نحو رؤية مستقبلية

إن مواجهة الشعوذة ليست مهمة جيل واحد، بل هي مشروع حضاري طويل الأمد. المطلوب هو بناء مجتمع محصن بالإيمان، واعٍ بالعلم، متماسك اجتماعياً، محمي بالقانون، ومؤمن بقدراته على التغيير. هذه الرؤية تضع الإنسان في مركز المعادلة، باعتباره المستهدف الأول من الشعوذة، وهي تدعوه إلى رفض الاستسلام للخوف والخرافة، والتمسك بالعقل المستنير والقلب مطمئن.

الخلاصة

السحر المعقود ومسح الأثر هو انعكاس لأزمة وعي وفقر ديني وثقافي، وليس قوة غيبية حقيقية. ما لم نواجهه بشكل استراتيجي متكامل، سيظل يعيد إنتاج نفسه عبر الأجيال. إن الحل يكمن في الجمع بين الدين والعلم والقانون والمجتمع، لتفكيك هذه الظاهرة وفتح الطريق أمام نهضة فكرية وأخلاقية.

وبذلك، فإن هذا الكتاب لا ينتهي عند حد التحليل والوصف، بل يدعو القارئ إلى المشاركة في معركة الوعي، والمساهمة في بناء مجتمع محصن من الدجل والخرافة، يعيش أفراده بحرية وكرامة، ويؤمنون بأن النفع والضرر بيد الله وحده.

قائمة المصطلحات والمعاني

- السحر المعقود: نوع من السحر يعتمد على عقد خيوط أو رموز تُستخدم لربط حياة الضحية وتعطيل رزقه أو صحته.
- مسح الأثر: جمع آثار جسدية لشخص مثل أثر القدم أو اليد أو العرق لاستعمالها في الطلاس.
- الأثر: بقايا جسدية أو مادية من الإنسان يعتقد المشعوذ أنها تحمل طاقته ويمكن استغلالها.
- الشعوذة: ممارسات خادعة تستند إلى الوهم والتمويه لإيهام الناس بوجود قوة خارقة.
- الدجل: أسلوب احتيالي يقدمه المشعوذون بهدف استغلال جهل الناس وضعفهم.
- الطلاس: رموز أو كتابات غامضة تُستخدم في أعمال السحر لربط أو تفريق الأشخاص.
- العقد: حبال أو خيوط معقودة بطريقة خاصة يعتقد أنها تؤثر في حياة المستهدف.
- التعاويذ: كلمات أو أدعية يرددّها الساحر لاستحضار قوى غيبية أو شيطانية.
- الرقية الشرعية: قراءة آيات من القرآن وأدعية صحيحة لعلاج السحر والحسد.
- التمام: أحجار أو أوراق يلبسها الناس طلبًا للحماية، وغالبًا ما تُستغل في الشعوذة.
- العين والحسد: اعتقاد أن نظرة الحاسد قد تسبب ضررًا للآخرين.
- الخرافة: أفكار وأساطير غير علمية تفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية.
- الجهل الديني: نقص المعرفة بأحكام الشرع مما يفتح الباب أمام تصديق الشعوذة.
- الضعف الإيمانى: غياب التوكل الصحيح على الله واليقين بقدرته.
- التوكل: الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة.
- الأذكار النبوية: أدعية وأوراد وردت عن النبي ﷺ للتحصين من الشرور.
- العلاج النفسي: تدخلات طبية وسلوكية لعلاج الأذى النفسى الناتج عن الإيحاء بالسحر.
- الموروث الشعبى: مجموعة من العادات والتقاليد والأساطير التي تتوارثها المجتمعات.
- المعتقدات الشعبية: تفسيرات غير علمية تلجأ إليها المجتمعات لتفسير الأحداث.
- الاقتصاد الأسود: الأنشطة غير القانونية التي تدر أرباحًا، ومنها تجارة الشعوذة.
- الجهل العلمى: غياب الوعي بأسس التفكير النقدي والعلمى.
- الوعي النقدي: القدرة على التفكير والتحليل ورفض الأفكار الخاطئة.
- التأثير النفسى: الأثر الذي يتركه السحر في عقل الضحية من خوف وقلق.
- الاستغلال: استخدام ضعف الآخرين لمكاسب مالية أو سلطوية.
- الحسد الاجتماعى: الغيرة من نجاح الآخرين ومحاولة الإضرار بهم.
- التفكك الأسرى: انهيار العلاقات الأسرية بسبب اتهامات بالسحر والشعوذة.
- الاضطرابات النفسية: حالات مرضية مثل القلق والاكتئاب الناتجة عن الإيحاء بالخرافة.
- الهوية الثقافية: ما يميز مجتمعًا من معتقدات وعادات قد تُستغل في الشعوذة.
- القوانين الوضعية: التشريعات البشرية المنظمة لمكافحة الشعوذة.
- الشريعة الإسلامية: المصدر الدينى الذي يحدد أحكام السحر وطرق التعامل معه.
- الأحكام الفقهية: اجتهادات العلماء في بيان حكم ممارسة أو تصديق السحر.

- الفتوى: رأي شرعي يصدره العلماء بخصوص السحر وتعاطيه.
- التحصين الروحي: حماية النفس بالقرآن والدعاء والعبادات.
- الجهل الشعبي: قصور الفهم لدى العامة الذي يسهل استغلاله.
- الأسطورة: قصة خيالية تُستخدم لتبرير الظواهر الخارقة.
- الطرق الصوفية: جماعات دينية قد يتداخل بعضها مع ممارسات الشعوذة.
- أنصار السنة: تيار ديني يسعى لمحاربة البدع، لكنه قد يتأثر بالموروث الشعبي.
- السحر الأسود: نوع من السحر يهدف للإيذاء الجسدي أو النفسي.
- الربط: سحر يُستخدم لتعطيل القدرة على الزواج أو العلاقة الزوجية.
- الفك: الإجراءات الشرعية أو النفسية لإبطال السحر.
- التحصين الأسري: حماية الأسرة بالوعي والالتزام الديني.
- الابتزاز الروحي: استغلال حاجة الناس للحماية مقابل المال.
- الرقية غير الشرعية: ممارسات مشبوهة تستتر بالدين لخداع الناس.
- الأوهام الجماعية: معتقدات يتبناها المجتمع رغم عدم صحتها.
- المنهج العلمي: أسلوب بحث قائم على الأدلة والتجربة.
- الأنثروبولوجيا: علم دراسة الإنسان وثقافته، بما في ذلك المعتقدات الشعبية.
- التحليل النفسي: دراسة تأثير اللاوعي على تصديق الشعوذة.
- الوعي الجمعي: مجموعة القيم والأفكار السائدة في المجتمع.
- التدين الشكلي: الالتزام بالمظاهر الدينية دون عمق إيماني حقيقي.
- الوعي الزائف: اعتقاد الناس بأن الشعوذة تحل مشكلاتهم.
- الخوف من المجهول: دافع رئيسي يدفع الناس للجوء إلى المشعوذين.
- الاحتيال الديني: استخدام الدين كغطاء لممارسات الشعوذة.
- الاستلاب الثقافي: خضوع المجتمعات للخرافات المستوردة من ثقافات أخرى.
- الأمية: جهل القراءة والكتابة الذي يسهل استغلاله.
- الاغتراب الروحي: فقدان الإنسان لتوازنه الروحي والديني.
- الطاقة السلبية: مفهوم وهمي يستخدمه الدجالون لإقناع ضحاياهم.
- السحر الأبيض: يُزعم أنه سحر للخير لكنه يظل محرماً.
- الممارسة الطقوسية: أفعال متكررة تُعطى دلالة دينية أو سحرية.
- الزواج المؤجل: مشكلة اجتماعية يُفسرها البعض بالسحر.
- الممارسات الجنائزية: عادات ما بعد الموت التي قد تتداخل مع الشعوذة.
- الخوف الاجتماعي: الرهبة من اتهام الآخرين بالسحر.
- الموروث الديني الشعبي: تفسيرات دينية غير موثقة انتقلت عبر العادات.
- القانون العرفي: قواعد غير مكتوبة قد تتسامح مع الشعوذة.
- التضليل الإعلامي: نشر محتوى يشجع على الدجل عبر قنوات أو مواقع.
- الشعوذة الإلكترونية: ممارسات دجل تتم عبر الإنترنت ووسائل التواصل.

- الإعلانات المضللة: دعاية تجذب الضحايا بوعود كاذبة مثل “جلب الحبيب”.
- الانكسار النفسي: حالة من الاستسلام للشعوذة بعد الفشل في الحياة.
- المسؤولية الأسرية: دور الأسرة في توعية أبنائها بخطورة الخرافة.
- الأمل الوهمي: شعور يزرعه المشعوذون في ضحاياهم مقابل المال.
- التحليل القانوني: دراسة النصوص التي تجرم الشعوذة.
- المجتمع التقليدي: مجتمعات تتمسك بالموروثات غير العلمية.
- التدين الشعبي: ممارسات دينية ممزوجة بالخرافة.
- التفسير الغيبي: إرجاع كل الظواهر إلى قوى خارقة.
- التحصين المجتمعي: توعية المجتمع بأكمله ضد الشعوذة.
- المسؤولية الفردية: وعي كل فرد بخطورة تسليم نفسه للخرافة.
- الموروث الإفريقي: العادات الإفريقية القديمة التي تتقاطع مع السحر.
- الوعي الديني الصحيح: الفهم السليم للدين كحماية من الشعوذة.
- الأزمات الاقتصادية: ضغوط مادية تدفع الناس للبحث عن حلول سحرية.
- الدعم المؤسسي: دور الحكومات والمنظمات في محاربة الشعوذة.
- النهضة الفكرية: الهدف النهائي لمواجهة الخرافة وبناء مجتمع علمي واعٍ.

السحر المعقود ومسح الأثر: دراسة أكاديمية في الظاهرة وآثارها وسبل الوقاية والعلاج

إعداد: جمال عمر الحاج إدريس

في زمن تتداخل فيه الموروثات الشعبية مع التحديات الاجتماعية والنفسية، يأتي هذا الكتاب ليكشف واحدة من أعقد الظواهر التي استوطنت مجتمعاتنا العربية والإفريقية: السحر المعقود ومسح الأثر.

الكتاب لا يكتفي بوصف الممارسات وأبعادها الغامضة، بل يغوص في عمقها من منظور علمي-أكاديمي شامل، يجمع بين الرؤية الدينية الموثوقة، والتحليل الاجتماعي والثقافي، والدراسة النفسية والطبية، مع مراجعة القوانين والتشريعات التي حاولت التصدي للشعوذة.

هدف الكتاب هو أن يمنح القارئ أدوات معرفية رصينة لفهم جذور الظاهرة، وكيفية تفكيكها، وسبل الوقاية منها، والبحث عن حلول عملية تتكامل فيها الرقبة الشرعية مع العلاج النفسي، والتربية الدينية مع التوعية المجتمعية، وصولاً إلى تشريعات رادعة تحمي المجتمع من الاستغلال.

لماذا يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟

- لأنه يقدم أول دراسة أكاديمية معمقة عن السحر المعقود ومسح الأثر في السودان، إريتريا، والمجتمعات العربية.
- لأنه يفسر الظاهرة من جميع جوانبها: الدينية، الاجتماعية، النفسية، الاقتصادية، والقانونية.
- لأنه يفتح نقاشاً جديداً مع النخب والمفكرين حول العلاقة بين الخرافة والتنمية، وبين الوعي والنهضة.
- لأنه كتاب لكل قارئ يسعى إلى الفهم والحماية والوعي، ولكل باحث وأكاديمي يريد مادة موثقة تستند إلى مراجع عربية وأجنبية.

الكتاب

كُتب بلغة أكاديمية رصينة، لكنها قريبة من القارئ، تجمع بين السلسلة الصحفية والعمق البحثي، ليكون في متناول النخب والمفكرين، وفي الوقت نفسه قريباً من عامة القراء الذين يطمحون إلى وعي أوسع ومعرفة أعمق.

شاركوا الكتاب مع أصدقائكم، زملائكم، والمهتمين بالثقافة والفكر. فهذا العمل ليس مجرد دراسة، بل هو صرخة وعي، ودعوة إلى بناء مجتمع أقوى، محصن من الخرافة، قائم على الإيمان والعلم والوعي النقدي.

Knotted Magic and Tracing the Imprint: An Academic Study on the Phenomenon, Its Impacts, and Approaches to Prevention and Healing

By: Gamal E.O. Elhag-Idris

- In today's world, where ancient traditions often mix with social and psychological challenges, this book uncovers one of the most complex and hidden practices within African and Arab societies: Knotted Magic and the Tracing of Imprints.
- More than just a description of rituals, the book offers a comprehensive academic study, combining reliable religious perspectives, social and cultural analysis, psychological and medical insights, and a review of laws and policies that aim to confront sorcery and superstition.
- Its purpose is to provide readers with solid knowledge and practical tools to understand the roots of this phenomenon, explore methods to counter it, and develop strategies of prevention and healing—through a balance of faith and spiritual guidance, psychological treatment, community awareness, and legal measures.

Why Read This Book?

- It is one of the first in-depth academic studies on knotted magic and tracing imprints in Sudan, Eritrea, and the wider Arab world.
- It examines the phenomenon from multiple dimensions: religious, social, psychological, economic, and legal.
- It opens a new discussion for intellectuals and decision-makers on the link between superstition and development, ignorance and awareness.
- It serves both the general reader seeking protection and understanding and the academic researcher in need of credible references.

Share this book with your colleagues, friends, and academic networks.

It is not only a study, but also a call for awareness, a step toward building a society stronger against superstition, and grounded in faith, science, and critical thinking.